عبد النبي عيَدودي

من أجل العقيدة الأشعرية وبها

BP
166.14
A84I38
2009



عبد النبي عيدودي

- مواليد 1976 بمدينة دار الكداري
- دبلوم الدراسات العليا المعمقة في المقاصد العقدي في الفكر الاسلامي بجامعة محمد الخامس بالرباط
- دبلوم الدراسات العليا المعمقة في العلوم السياسية والقانون الدستوري. بجامعة محمد الخامس بالرباط
- يحضر أطروحة الدكتوراه في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع بجامعة محمد الخامس أكدال الرباط
- يحضر أطروحة الدكتوراه في العلوم السياسية والقانون الدستوري بنفس الجامعة

لماذا لم أقل من أجل "العقيدة ال... ذلك لشيعي، أما أنا فجزء من ذاتي ومن زمن هويتي يدفعني لأقول من أجل العقيدة الأشعرية وبها، فأنا مغربي الولادة والمنشأ والتطور، ومشيئة الله تعالى أرادتني أن أكون مغربيا، أما أشعريا مالكيا سالكا منهج الجنيد ومبايعا لأمير المؤمنين فبإرادتي أنا وعلى طواعية من أمري كسبا، بعدما تربيت ودرست العقائد والأديان في وطني، ازداد إيماني بكل ما اعتقدته وتعلمته من أسرتي وشيوخي. وتناولي للموضوع، سيكون بكيفية منهجية شاملة، أي لابد من النظر إلى "**العقيدة الأشعرية**" في مفهومها وأركانها وأدوارها وخصائصها، وكذا النظر في تاريخها العريق وحاضرها المرتبك ثم استشراف المستقبل.

هذه "العقيدة الأشعرية"، التي هي عقيدة الملايين اليوم، تجعلنا نطرح أسئلة من قبيل : **بعد الإيمان والاعتقاد بها ما عسانا نفعل بها ؟ أي ماذا نريد بهذه العقيدة ؟**

الثمن : 18 درهم

عبد النبي عيدودي

من أجل العقيدة الأشعرية وبها

العقيدة الأشعرية أقوى من أن ندافع عنها فهي حاضرة بقوة منذ مئات السنين. وتناولها واسع ومعقد.

رقم الإيداع القانوني : 2008/2903
الكتاب : من أجل العقيدة الأشعرية وبها
المؤلف : عبد النبي عيبودي
الطبعة الأولى : 2009
تصفيف وإعداد : مريم أبوالعلاء
تم الطبع : بالمطبعة السريعة
الزنقة 22، شارع محمد الخامس رقم 2 – 14000 - القنيطرة / المغرب
الهاتف: 36.28.09 / 36.45.58 (212 37)
الفاكس : 36.64.64 (212 37)

BP
166.14
A84 I38
2009

مقدمة

"من أجل العقيدة الأشعرية وبها" هو عنوان هذا العمل الذي أقدمه للمهتمين بالعقائد والأديان عموما، والمهتمين بالعقيدة الأشعرية خصوصا،

لماذا لم أقل من أجل "العقيدة الشيعة" وبها، أترك ذلك لشيعي، أما أنا فجزء من ذاتي ومن زمن هويتي يدفعني لأقول من أجل العقيدة الأشعرية وبها، فأنا مغربي الولادة والمنشأ والتطور، ومشيئة الله تعالى أرادتني أن أكون مغربيا، أما أشعريا مالكيا سالكا منهج الجنيد ومبايعا لأمير المؤمنين فبإرادتي أنا وعلى طواعية من أمري كسبا، بعدما درست العقائد والأديان في وطني، ازداد إيماني بكل ما اعتقدته وتعلمته من أسرتي وشيوخي.

كما أن العقيدة الأشعرية عقيدة أهل الغرب الإسلامي، مما يعني أن اعتناقي لهذا المذهب، هو استمراري على العرف العقائدي المغربي تأصيلا وترسيما وتطورا الممتد من القرن الخامس الهجري إلى يومنا هذا.

ومن الأسباب الأخرى التي دفعتني للقيام بهذا العمل، هو ما يشهده العالم اليوم من تحولات وتفاعلات على كافة المستويات، الفكرية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية.. ،

وتناولي للموضوع ، سيكون بكيفية منهجية شاملة، أي لابد من النظر إلى –**"العقيدة الأشعرية"**– في مفهومها وأركانها وأدوارها وخصائصها، وكذا النظر في تاريخها العريق وحاضرها المرتبك ثم استشراف المستقبل.

هذه **"العقيدة الأشعرية"**، التي هي عقيدة الملايين اليوم، تجعلنا نطرح أسئلة من قبيل : **بعد الإيمان والاعتقاد بها ماعسانا نفعل بها؟ أي ماذا نريد بهذه العقيدة؟**

هذه الأسئلة تهم المغرب، وبلدان أخرى مسلمة تشترك معه في هذه العقيدة، لأن **"العقيدة الأشعرية"** مع مجيء مؤسسها ومطورها **"أبي الحسن الأشعري"** أصبحت عقيدة منتشرة في مجموعة من البلدان ولاسيما بلدان الغرب الإسلامي، وليست للمغاربة وحدهم، لهذا فمن يوجه النقد للعقيدة الأشعرية، فإنه لا يقصد المغرب وحده، لأن **"العقيدة الأشعرية"**جزء من كيان كبير هو بلاد الإسلام، لهذا فالذين كتبوا الدستور المغربي كانوا على وعي فقالوا المغرب بلد إسلامي ولم يقولوا أشعري، لأن العقيدة الأشعرية هي منهج محرك ومفسر حقيقي للعقيدة الإسلامية.

- وعندما نقول بها يفرض علينا أن نتخيل أنفسنا بعد ثلاثين أو أربعين سنة ماذا نريد أن يكون عليه الأمر بالنسبة للعقيدة الأشعرية؟

- أما **"العقيدة الأشعرية"** اليوم فهي في حاجة ماسة إلى إستراتيجية مزدوجة، **إستراتيجية تعمل من "أجل العقيدة الأشعرية" حتى نتمكن من العمل بها؟** ولكي يتسنى لنا أن نعتقد العقيدة الأشعرية يجب أن نعتقد لها أيضا،

- وعندما قلت من **"أجل العقيدة الأشعرية"**، أي لابد من التراجع خطوة إلى الوراء، من أجل إشباع حاجتنا بسياسة تقوية **"العقيدة الأشعرية"**، حتى تعطينا قوة المعتقد بها، "فالعقيدة الأشعرية" عقيدة مئات الملايين من الناس، وهي عقيدة الحضارة والتاريخ، وهي من أنجبت مالكا الصغير، وأبا حامد الغزالي، وابن رشد، وابن خلدون، وابن عاشير، والمهدي ابن تومرت، ويوسف بن تاشفين، وعبد الله بن ياسين، وغيرهم كثر ممن غيروا معالم الحضارة الإسلامية.

لهذا أنا أؤيد من يقول بأن العقيدة الأشعرية أسست حضارة عالمية، ثم يحق لنا التساؤل أيضا :

- ماذا نفعل من أجلها؟

- وماذا نفعل بها؟

- وما هي عليه العقيدة الأشعرية في تراتب العقائد الأخرى؟

هذه الإشكالات المطروحة حول هذا الموضوع خصصت لها التصميم التالي، ليتسنى لنا الاقتراب من الإجابة عنها. فقسمت هذا العمل إلى ثلاث فصول :

* **خصصت الفصل الأول** : لمؤسس العقيدة الأشعرية، أبي الحسن الاشعري، نسبه، حياته، زهده، تكوينه العلمي، دخوله عالم الاعتزال وخروجه منه، وكيف سمي بناصر السنة وكيف انتصر لمذهب السلف.

* **أما الفصل الثاني** : فخصصته لمفهوم العقيدة في مبحث أول، وأركان العقيدة في مبحث ثاني

* **وخصصت الفصل الثالث** : لإستراتيجية التفكير الذي يجب علينا أن نفكر به من أجل العقيدة الأشعرية.

والله من وراء القصد

خنيفرة

16 نونبر 2008

الفصل الأولى: مؤسس العقيدة الأشعرية

***اسمه** : هو علي [1] بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري.
***وكنيته** : (أبو الحسن) [2]

* **أما نسبة الأشعري** : فهي نسبة إلى أشعر، اسمه نبت بن أدد بن زيد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ [3] وذكر بن خلكان [4] : أن سبب تسميته أشعر نقلا عن السمعاني لان أمه ولدته والشعر على بدنه. وظاهر هذه الراوية يوحي بالوضع لأن الأطفال عادة ما يولدون بدون شعر وهذا أمر واضح كما قال الدكتور جلال موسى[5] : " ويزيد في وهن هذه الرواية ما يستشف من عبارة بن خلكان بعدما ساق هذه النسبة حيث قال : "**هكذا قاله السمعاني والله اعلم**" [6] ملقيا بالتبعة على عاتق الراوي.

---

[1] - (الفهرست) : لابن النديم ص181 –(تاريخ بغداد) لابن الخطيب ج 11 ص 346 - (تبيين كذب المعتري) لابن عساكر ص 34 و ما بعدها – (رسالة البيهقي) انظر ص 102 من (تبيين كذب المعتري)– (شذرات الذهب) لابن العماد ج 2 ص 303 – (المشتبه في أسماء الرجال) للذهبي ج 1 ص 26 – (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي ج 2 ص 24 - (وفيات الاعيان) لابن خلعان ج 3 ص 326 - (البداية و النهاية) : لابن كثير ج11 ص 187- (الخطط) للمقريزي ج 3 ص 307

[2] - نفس الهامش

[3] - (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم ص 398

[4] - و فيات الاعيان ج 3ص - الانساب للسمعاني ص 139

[5] - نشأة الاشعرية و تطورها ص 168

[6] - وفيات ج 3 ص 285

والأقرب إلى الصواب والتصديق أن أشعر نسبته إلى سبأ وهم من اليمن وينتمي إليهم الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري، فهو من أولاد سبأ الذين ما فتئوا يسمعون ببشائر بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى جهز أفراد منهم أنفسهم للحاق بهذا الموكب النبوي، فبعد أن تم لهم كل شيء هاجروا إلى أرض الحبشة وأميرهم على هذه الرحلة أبو موسى الأشعري، فأقاموا مع جعفر بن أبي طالب الذي كان على رأس المهاجرين حتى قدموا جميعا على (رسول الله صلى الله عليه وسلم) بنية التعرف على هذا الدين الجديد و إشهار إسلامهم.

وقد أغنانا ابن عساكر في كتابه القيم " تبيين كذب المفتري...([7]) " بذكر طيب خصال هؤلاء القوم وحسن أخلاقهم بما لا مزيد معه من القول والإيضاح، وحسبنا ما جاء عنهم أنهم لما اقتربوا من المدينة صاروا يرجزون: (غدا نلقى الأحبة محمد وحزبه) ([8]).ويكفي الرجوع إلى هذا الكتاب لنعرف أن من له مثل هؤلاء القوم أصل حقيق أن يكون عظيما كأبي الحسن. وقد نفى الأهوازي ([9]) في كتابه

---

[7])- تبين كذب المفتري لابن عساكر ص 46و ما بعدها

[8])- نفس المصدر ص 46

[9])- الاهوازي : و هو من الحشوية ، شديد الوطأة على الاشعري خاصة في كتابه المذكور .

"**مثالب أبي الحسن الأشعري**" أن تكون كنية جده إسحاق هي"أبي بشر" وشكك في نسبه إلى أبي موسى الأشعري الذي جاء إلى (النبي صلى الله عليه وسلم) مبينا أنه ما كنى عن اسم أبيه إلا لهذا السبب (أي غير صحيح النسب) غير أن الحافظ ابن عساكر يرد على زعم هذا المفتري قائلا : ولو كانت له (أي الأهوازي) بأسماء الرجال وأنسابهم عناية لفرق بين قولنا كنية وكناية، وفي إطباق الناس على تسميته الأشعري تكذيب لما قاله هذا المفتري ([10]) ودليل ساطع على علو نسبه وشرفه بين العلماء، ومن سبقه من المؤرخين وأصحاب كتب الأنساب.

***أما لقبه** : "**ناصر السنة**" فبعد أن أظهره الله عز وجل على المبتدعة ونصر به أهل السنة، سار ذكره على كل لسان " **ناصر السنة**" و نودي على جنازته ([11]) بذلك.

***ولادته** : أجمعت أغلب المصادرالقديمة في شأن مكان مولده بلا خلاف، فقد كان مسقط رأسه بالبصرة.([12]) لكن المؤرخين اختلفوا في أي سنة بالضبط تمت ولادته على

---

[10]) تبيين كذب المفتري ص 34

[11]) نفس المصدر ص 35 – ص127

[12]- نفس المصدر ص 36 / أنظر الهامش 1 مصادر سيرته ص 1 من هذا البحث

أقوال شتى، لا تخرج عن كون ولادته كانت في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري.

فأكثرهم ذهب إلى القول بأن مولده كان سنة 260 هـ كما جاء في [13]. ومنهم من حدد مولده في سنة 270 هـ تاريخا لمولده، وفي قول آخر للمقريزي في **(الخطط)** يحدد فيه أن مولده كان في سنة 266 هـ غير أن ابن عساكرومن خلال ما ذهب إليه في شأن تاريخ مولد الأشعري أورد رواية أبي بكر الوزان تثبيتا لما قاله، ولم يقف عند هذه الرواية فقط بل نظر في أقوال من سبقوه بعين فاحصة وناقشها وخرج بنتيجة مفادها كما جاء على لسانه: **(لا أعلم لقائل هذا القول (يعني سنة 260 هـ) (في تاريخ مولده مخالفا)** [14].

لكن متابعة لطريق العلم ندلل على ما ذهب إليه ابن عساكر انه هو الصحيح والصواب، أن هذه الرواية أي التي لابن عساكر تجعلنا في منأى من الوقوع في ملابسات تاريخية ونحن في كامل الثقة والاطمئنان، خاصة أنها

[13]- تاريخ بغداد لابن الخطيب البغدادي و – ص 347 / ج 11 تبيين كذب المفتري ص 146(طبقات الشافعية) ج 2/ ص 246 ، "وفيات الأعيان" لابن خلكان البداية والنهاية ج 11/ ص 187 - الخطط / ج ص 303

[14]- تبيين كذب المفتري ص 146

متناسبة مع سياق حكاية تحوله عن الاعتزال و مقدار عمره حينذاك، إذ قيل إن هذا التحول قد وقع سنة 300 هـ(15) وكان له من العمر 40 عاما (16)، و تدرأ التناقض في الرويات الأخرى عكس ما إذا ما أخذنا برواية المقريزي أو ابن خلكان.

<u>**نشأته والبيئة التي عاش فيها**</u> : نشأ أبوالحسن الأشعري في بيت من بيوت العلم والتقوى فقد كان أبوه سنيا [17] مما أتاح له وهو في هذه السن المبكرة أن يتعرف ويتشرب من معين أهل السنة ويتدرب على طرائقهم في تناول العلوم الإسلامية من علوم القرآن والسنة والنحو... وغيرها. ويرجع الفضل في تكوين الأشعري الفقهي السني إلى أبيه الذي عهد إلى أمه[18] أن تجلسه إلى الشيخ زكريا بن يحي الساجي –رحمه الله– فقيه أهل عصره وهو إمام في الفقه والحديث وله كتب منها كتاب " **اختلاف الفقهاء**"، وكان يذهب مذهب الشافعي، وقد روى عنه الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتاب التفسير أحاديث كثيرة كما ذكر ذلك الإمام أبو بكر بن فورك [19]

[15]-تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص 56

[16]- المصدر نفسه.

[17]- نفس المصدر ص 35

[18]- وقيل الى اكبر أفراد عائلته

[19]- تبيين كذب المفتري ص 35

وبالفعل نفذت الوصية. قدم إلى بغداد وأخذ الحديث عن الساجي وسمع من أبي خليفة الجمحي وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقري وعبد الرحمان بن خلف الضمري...، **وكان يجلس أيام الجمعات في حلقة أبي إسحاق المروزي بجامع المنصور في بغداد** [20] **لكن الذي سيغير مجرى حياة أبي الحسن الأشعري الفكرية والثقافية هو دخول أبي علي الجبائي، وهو أحد كبار رجال الاعتزال وشيخ المعتزلة في البصرة، وذلك عن طريق زواجه بأمه، فتتلمذ على يده وبلغ شأوا عظيما، حتى صار إماما للمعتزلة، ثم رجع القول بخلق القرآن ونفي رؤية الله بالأبصار وغيرها من آراء المعتزلة، وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسيا ونادى بأعلى صوته : " من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى بالأبصار وأن أفعال الشر أنا افعلها وأنا تائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مبينا لفضائحهم ومعايبهم". [21]**

---

[20] - تاريخ بغداد ج 11 ص 347 – وفيات الاعيان ج 3 ص 284 – البداية و النهاية ج 11 ص 187 – طبقات الشافعية ج 2 ص 248.

[21] - وفيات الاعيان ج 285/3- البداية و النهاية ج ص 187 – الخطط المقريزية ج 2 ص 359 / طبقات الشافعية ج 2 ص 246

وهكذا سيسير منوال حياته على هذه الكيفية بعد هذا التحول العجيب، يذب عن عقيدة أهل السنة والجماعة ويدفع عنها خرافات وأباطيل المبتدعة وافتراءاتهم بعدما فتح الله عليهم ونور بصيرته لإتباع سبيل أهل الحق.

مذهبه الفقهي : قال الحافظ بن عساكر : "**وكان مذهبه مالكيا على مذهب مالك بن انس رضي الله عنه وقد ذكر لي بعض من لقيت من الشافعية أنه كان شافعيا حتى لقيت الشيخ الفاضل رافعا الحمال الفقيه فذكر لي عن شيوخه أن أبا الحسن الأشعري رضي الله عنه كان مالكيا**"([22]). ويلاحظ على هذه الرواية وغيرها من الروايات في نفس الموضوع أن أصحاب المذاهب، خاصة المذهب الشافعي والمذهب المالكي يتجاذبون بينهم أبا الحسن الأشعري من منهم يحوزه إليه "ذخيرة وقوة" لشهرته وعظيم شأنه بين أهل السنة، فقد كان قامعا للبدعة ناصرا للسنة ولقب بـ " **ناصر السنة** " كما أشرنا إلى هذا سابقا. هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد من يقول أنه كان (حنفي المذهب) ([23]) ونشأ عليه كما ذكره الإمام مسعود بن شيبة في كتاب "**التعليم**" وعول عليه

---

[22] - تبيين كذب المفتري ص 117

[23] كتاب الخطط المقزيرية ج 2 ص 359

الحافظ عبد القادر القرشي والمقريزي وجماعة، ولم يثبت منه الرجوع عن المذهب حين رجع عن الاعتزال وهذه الرواية رغم أنها تبدو متفردة وغريبة فقد عضدها صاحبها- وهو عبد الله بن يحيي بن أبي بكر بن يوسف الجزائري ([24]) بان علل كلامه هذا حتى يكون مقبولا لدى الآخرين، مبرزا أن "سبب التجاذب بينهم (أي طوائف أهل السنة) أنه (أي الأشعري) كان ينظر في فقه المذاهب ولا يتحزب لبعضها على بعض " بل كان ذلك سياسة منه حتى يسهل" له جمع كلمة أهل السنة حول دعوته الحقة، بل كان يقول للحنابلة أنا على مذهب احمد كما في الإبانة ليتدرج بالحشوية منهم إلى معتقد أهل السلف... وهكذا" ([25]).

وإذا كان من الطبيعي أن نرى الأشعري لا يتحيز إلى مذهب دون آخر، فان مرد ذلك لاشتغاله بعلم الكلام وما يخص أصول الدين، فكان في غالب الأحيان لا يخوض في الفروع والجزئيات الفقهية، نظرا لطبيعة تكوينه والمدرسة التي تخرج عنها كمتكلم مجيد، ومناظر صنديد، إلا أن هذا لا يمنع من أن يكون للأشعري مذهب فقهي يرجع بين الفينة

24 - الذي كان اخر من تلقى سماعا سند رواية كتاب كذب المفتري للحافظ بن عساكر
25 - هامش كتاب تبيين كذب المفتري ص 116-117

والأخرى إليه، ويعتمد عليه في استنباط الأحكام الشرعية والوقوف على بعض العلل الأصولية -لهذا نجد أغلب المصادر القديمة- تنص على أن الأشعري كان شافعي المذهب بدليل ما تواتر عنه أنه كان (يجلس أيام الجمعات في حلقة أبي إسحاق المروزي في جامع المنصور) ([26]) ويؤكد ذلك السبكي حيث قال : نص على ذلك (أي انه شافعي) أبو بكر فورك في طبقات المتكلمين والأستاذ أبو اسحاق الاسفراييني فيما نقله عنه الشيخ أبو محمد الجويني في شرح الرسالة وهو القاضي أبو بكر الباقلاني شيخ الأشاعرة ([27]). وهذا ما رجحه العديد من الباحثين المحدثين من بينهم الباحثة فوقية حسين محمود([28]) أثناء دراستها لسيرة أبي الحسن الأشعري وأيضا بما ذهب إليه الدكتور جلال موسى ([29]) وبرهن على ذلك بإجراء مقارنة تبين مدى التقارب الحاصل بين الأشعرية والشافعية في الأصول الكلامية، وأن لهذه الأخيرة فضل كبير في ذيوع المذهب الأشعري لأنها كانت السائدة حينذاك، وإن كانت أقواله قد

27- تاريخ بغداد ج 11 ص 347/وفيات الاعيان ج 3 ص 286 / البداية و النهاية ج 11 ص 187 الخطط المقزيرية 2 ص 359/ طبقات الشافعية ج 2 ص 248.
27- طبقات الشافعية ج 2 ص 248
28- مقدمة كتاب الإبانة للاشعري – تحقيق فوقية حسين
29- نشأة الاشعرية و تطورها ص 184

ذاعت ذيوعا كبيرا بين المالكية خاصة في شمال إفريقيا على يد أبي بكر الباقلاني المالكي شيخ الأشاعرة ومن تبعه من فقهاء المغرب والأندلس.

<u>زهده وعبادته</u> : جاء في الأخبار انه كان يعيش على غلة من ضيعة وقفها جده بلال بن أبي بردة على عقبه وكانت نفقته في كل سنة سبعة عشر درهما ([30]) مما سهل له أن يتفرغ لطلب العلم والتحصيل، ويعينه بعض الشيء على مؤنة الطلب، ويجعله خالي الذهن من التفكير في المعاش، مقبلا على مدارسة العلم، وبذله لله من غير جزاء ولا شكور. خاصة إذا علمنا أن مثل هذه النفقة (17 درهم) في ذلك الزمان كانت لا تكفي في بعض الأحيان لسد الحاجيات الضرورية وبالأحرى توفير العيش الرغيد والانبساط في النعيم، وهذا وإن دل على شيء فانه يدل على زهد الأشعري، فقد كان قانعا متعففا كما قال ابن العماد ([31]) عنه.

[31] - تاريخ بغداد ج 11 ص 347 / وفيات الاعيان ج 3 ص 286 البداية و النهاية ج 11 ص 187 / الخطط المقريزية ج 2 ص 359 طبقات الشافعية ج 2 ص 248

[31]- شذرات الذهب ج 2 ص 303

أما اجتهاده في العبادة، فقد أورد السبكي رواية عن **(من صحبه أنه مكث عشرون سنة يصلي الصبح بوضوء العتمة)** ([32]).

أما عن أخلاقه وما فطره الله عليه من طيب الخصال والسجايا، فيروي لنا أبوعمران موسى بن أحمد علي الفقيه عن أبيه قال : **(خدمت الإمام أبا الحسن بالبصرة سنين وعاشرته ببغداد إلى أن توفي رحمه الله فلم أجد أروع منه ولا أغض طرفا، ولم أر شيخا أكثر حياء منه في أمور الدنيا، ولا أنشط منه في أمور الآخرة.)** ([33]).

وكان للشيخ أبي الحسن الأشعري بحكم تأثير البيئة التي كان يعيش فيها مشاركة وجدانية وذوقية لأهل التصوف فقد كان خادمه بندار بن الحسين، وكان بعد من الواصلين والإبدال إلا أنه كان يسلك في هذا المجال مسلك السلف الصالح في تكتم الأحوال والمواجيد، وعدم إظهار الكرامات، يشهد على ذلك ما قاله السبكي عنه حيث قال :

[33]- تبيين كذب المفتري ص 41

(وكان سيدا في التصوف واعتبار القلوب كما هو سيد في علم الكلام وأصناف العلوم.) ([34])

أما عن مناقبه وفضائله فلا تعد ولا تحصى ويطول بنا المقام في ذكرها، يكفي ما أورده السبكي ([35]) رواية يرفعها إلى الأستاذ الاسفراييني قال : "**كنت في جنب الشيخ أبي الحسن الباهلي كقطرة في جنب البحر وسمعت الباهلي يقول كنت في جنب الأشعري كقطرة في جنب البحر**" وقال لسان الأمة القاضي أبو بكر : **(أفضل أحوالي أن أفهم كلام أبي الحسن).**

وفاته : اختلفت المصادر في سنة وفاته، فقد قال بعض البصريين أنه مات سنة ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة، وقال (أي الخطيب البغدادي) أبو القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي أن الأشعري مات ببغداد بعد سنة عشرين، وقيل سنة ثلاثين، وثلاثمائة، ودفن في مشرعة الزوايا في تربة إلى جانبها مسجد، وبالقرب منها حمام، وهي عن يسار المار من السوق إلى دجلة.

[34]- طبقات الشافعية الكبرى ج 2 ص 246
[35] - نفس المصدر

وذكر أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أن أبا الحسن الأشعري مات سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ([36]) وقد عولنا على هذه الرواية، لأنها من أقدم الرويات التى فيها الخطيب البغدادي بكل أقوال من سبقوه ومن أتوا بعده، ولا نجد في المصادر اللاحقة ([37]) إلا ناقلا عنه، لكن ابن عساكر نقل هذا النص بترتيب مختلف، وعقب على قول بعض البصريين أنه مات سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة : **(وهذا القول... لا أراه صحيحا والأصح أنه مات سنة أربع وعشرين، وكذلك ذكرا بن فورك)** ([38]).

مؤلفاته

ذكر أبو محمد بن حزم أنها بلغت خمسا وخمسين مصنفا وقد رد ابن عساكر هذا القول، وقال :"وقد ترك من عدد مصنفاته أكثر من النصف "وذكر أبو بكر بن فورك مسميات تزيد على الضعف وقال السبكي: ابن حزم في مقدار ما وقف عليه في بلاد المغرب، وقد ذكر ابن عساكر

[36]- تاريخ بغداد – ج 11 / 141
[38]- وفيات الاعيان - ص 284/ 286ج 3/ البداية و النهاية – بن كثير ج 11 / ص 187/ الخطط المقريزية ج 2 ص 359/ شذرات الذهب ص 303 / ج 2
[38]- تبيين كذب المفتري ص 56

بعد ذلك عن أبي المعالي بن عبد الملك القاضي أنه سمع من يثق به يذكر أنه رأى تراجم مصنفاته تزيد على مائتين أو ثلاثمائة مصنف وأكثرها في الرد على المعتزلة وبعضها في الرد على مذاهب وفرق أخرى. وقد ألف تفسيرا للقران **(اسمه المختزل)** أقل ما قيل في أجزائه أنه في ثلاثين مجلدا، منها أيضا "**كتاب الفصول**" الذي رد فيه على الفلاسفة والطبيعيين، والدهرية، والبراهمة، واليهود والنصارى والمجوس وهو كتاب كبير يحتوي على اثني عشر كتابا.

وقد ذكر ابن خلكان من مؤلفاته : كتاب "**اللمع**" و"**الموجز**"، و" **إيضاح البرهان** "و" **التبيين في أصول الدين**"، و" **الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل**". وللأشعري كذلك -عدا العلوم العقلية والكلام- مؤلفات في علوم الشريعة منها : كتاب "**القياس**"، وكتاب "**الاجتهاد** "، و"**خبر الواحد**"، وكتاب في الرد على ابن الراوندي في إنكاره للتواتر وعد ابن عساكر مما ذكره الشيخ في كتابه "**العمد في الرؤيا**" مؤلفاته التي فرغ منها سنة 320 هـ، يعني قبل وفاته بأربع سنوات، وهي ثمان وستون مؤلفا، وكثير منها يقع في عشر مجلدات أو أكثر.

وقد ألف في أخر حياته كتبا كثيرة، بل كان مؤرخا أمينا لعلم العقائد، خاصة في كتابه "**مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** "، وقد اعترف بدقته وأمانته وتحريه للصدق في النقل المستشرقون، وكتب الفرق والديانات والتي تدل كلها على أمانته ودقته في النقل.

المبحث الثاني :

أبو الحسن الأشعري إماما في الاعتزال .

نشأ أبو الحسن الأشعري تحت أكناف عائلته، في بيئة ساعدته كثيرا على أن ينحو في البداية على ما تمناه له أبوه الذي كان (محدثا سنيا جماعيا) ([39]) فلقد عهد إلى أمه ([40]) إلى أن تسلمه الإمام يحيى بن زكرياء الساجي -رحمه الله- إمام من أئمة أهل السنة في الفقه والحديث، غير انه لم يلبث مدة طويلة بعد وفاة والده حتى تحول إلى مذهب المعتزلة إذ سرعان ما تأثر بابي علي الجبائي شيخ الاعتزال في زمانه قبل أن يشتد عوده و ترسخ قدمه على منهج أهل السنة والجماعة في تناول العقائد، وهذا راجع إلى أن الوقت الذي بدأ يتردد فيه الأشعري على أبي علي الجبائي ويأخذ عنه -حسب كثير من المحققين- حصل بفعل المخالطة الدائمة نتيجة زواج أمه بشيخه، أي أن التأثر كان عن طريق علاقة أسرته.

ويرى البعض الأخر يرى أن طريقة الجبائي في تناول العقائد، قد استهوته وتحكمت فيه، بحيث صار له ولع

39- تبيين كذب المفتري ص 16

40- قيل الى اكبر افراد عائلته

وشغف في لزومه والأخذ عنه. وإذا صح احد الاحتمالين فان الأشعري قد تعرف مبكرا على علم الكلام، وفنون القول والاستدلال.

ومما يؤكد على ذلك ما ذهب إليه الكثير من المحققين أن السنة التي بدا فيها الأشعري يقتفي المبادئ الأولى لعلم الكلام على يد أبي علي الجبائي هي السن العاشرة، لهذا نجد فوقية حسين قد رجحت أن اليد الأولى وهمزة الوصل بين الأشعري والجبائي في هذه الفترة هو نتيجة علاقة أسرية أي بزواج أمه من الجبائي بعد وفاة والده.

ويبدو للوهلة الأولى أن أمر تلقي الأشعري من شيخ الاعتزال في هذه السن المبكرة غير مستساغ وفيه نوع من المبالغة، خاصة إذا علمنا أن أغلب القضايا الكلامية التي تطرق إليها المعتزلة، تحتاج إلى نوع من إعمال للعقل والفكر غيرعادي، يكون مبنيا على مقدمات عقلية وفلسفية، ويعزف عنها الكثيرين ويملون منها لشدة صعوبتها، فكيف بمن كانت هذه سنه، وأغلب الظن أن الذي جعل الأشعري يمضي في هذا الاتجاه الموغل في العقليات -بالرغم مما قيل في ذكائه ونبوغه المبكر- وسهل عليه سبله هو قدرته

الكبيرة على الإدراك والاستيعاب واختزان المعلومات الكثيرة مستعينا بذاكرته القوية بعدما مرن نفسه على حفظ الأقوال الخبرية على يد المحدثين والفقهاء قبل سن العاشرة الذين أشادوا ببراعته في هذا المجال.

ومن جهة ثانية فقد توصلنا بعد اطلاع على سيرة أبي الحسن الأشعري ومن خلال الأجواء التي عاش فيها على عدة عوامل مهمة تداخلت فيما بينها لتجعل من الأشعري إماما للاعتزال، يمكن تلخيصها في ثلاث أسباب أسياسية وهي كالتالي :

أولا : قدرة أبي علي الجبائي في التأثير عليه في السن المبكرة في ميدان العقائد والرد على الخصوم، وإفحامهم حتى صار شغوفا بطريقته وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة المهمة التي كان يشغلها أبو علي الجبائي كشيخ للاعتزال في زمانه من ناحية ومن ناحية أخرى لكونه يشغل الجانب الوجداني لدى الأشعري كأب وزوج لأمه -إذا أخذنا برأي فوقية- بعدما فقد والده وهو صبي لا يعرف شيئا، فكان بمثابة أب روحي ومعنوي وموجه رئيسي في حياته الفكرية والثقافية بعدما أدت أمه ما عليها بتنفيذ وصية والده

-في حفظ القرآن وتلقي العلوم الضرورية من الشرع- فتولى الجبائي تتميم الباقي.

أما الأمر الثاني : الذي جعل من الأشعري شخصيا ينقاد لشيخ معتزلي وقد كان على المذهب الصحيح والمنهج القويم بسهولة تامة، فتعود بالأساس للمدة القصيرة التي قضاها في كنف شيوخه الأوائل من أهل الإثبات كالساجي والضمري.. الخ الذين تلقى عنهم الضروري من علوم الدين من حفظ للقران الكريم وإلمام ببعض الأحاديث والنحو... فلم تكن هذه المدة كافية حتى تجعل منه أو تعطي له العون الكافي كي يصبح متمرسا على طرق أهل السنة في تناول العقائد والبيان فيها بل مجرد حفظ للنقول والمتون لا تدفع شيئا من الظنون، فكان لقمة سائغة بين أيدي الاعتزال والمعتزلة في انتحال ما انتحلوه، والسير على ما افتعلوه من التأويلات والآراء المخالفة.

أما السبب الثالث : في تكوين شخصية الأشعري الاعتزالية فتعزى الظروف عصره الذي كان يعوج ويموج بشتى تلاوين الأفكار والمعتقدات، نتيجة التطور الفكري والتناول العقلي للقضايا والمعلومات بفعل حركة الترجمة التي انتعشت في العصر العباسي، وتوسع الفتوحات الإسلامية

التي أدت إلى اعتناق شعوب غير عربية وأصحاب الديانات للإسلام.

فكانت بغداد والبصرة مسرحا للإحداث التاريخية الجسام والتحولات الفكرية العميقة، التي جعلت من هاتين المدينتين المتنفس، مما يختلج في صدور العديد من أقطاب حركة الفكر والإبداع في ذلك الحين في مختلف المجالات المعرفية، خاصة العقائدية التي كان على رأسها المعتزلة التي صعد نجمها في ذلك الوقت، وطغى عليها الجانب العقلي والتأويلي في الجانب العقدي، وشغلوا حيزا غير بسيط من الحياة الفكرية والسياسية والدينية بعون ومؤازرة من طرف الخلفاء ورجال القصر من الوزراء وكبار رجال السلطة، في أواسط وأواخر العصر العباسي، فكان توجههم هو المنهج العام الذي ارتضاه بعض الخلفاء العباسيين كالمأمون والمعتصم والواثق، وساروا عليه بين الناس فكان طبيعيا أن نرى الأشعري يسلك هذا الطريق كي لا يفوته الركب، مسايرة لأهل عصره وأيضا لتكون له الحظوة والشرف.

وهذا باختصار ما يمكن أن نقوله عن الدوافع التي أدت بالأشعري أن يصير إماما معتزليا بغير اختيار منه لأنه

لا بديل أمام جمود بعض علماء أهل السنة في زمانه- يطبعها شيء من التفصيل وتذليل بعض ما أثار الغموض والإبهام عن هذه الفترة المهمة في حياته التي تشكل زبدة تجاربه، وأهم محطة وقف عندها طويلا بعدما تاب الله عليه وانتصر لأهل السنة.

والنتيجة التي يتوصل إليها كل دارس وباحث في هذا الطور من حياة أبي الحسن الأشعري أنه يرى أن هذه الدوافع إن كانت حاضرة أو غاب بعض منها، يجعلنا نجزم عن يقين -ونذهب إلى ما ذهب إليه الأقدمون- أن الأشعري كانت له القدم الراسخ والباع الطويل في مذهب الاعتزال حتى صار إماما لأهل الاعتزال مقدما في عصره لا يجاريه أحد من أقرانه، حتى أن شيخه كان ينيبه في أغلب الأحيان في المناظرة.

وينتهي هذا الطور بان تظهر على الأشعري المتضلع في علم الاعتزال بين الفينة والأخرى نوع من معاناة فكرية ونفسية ستبرز جليا وتطفو على السطح من خلال مناظراته مع شيخه وهذا ما سنبنيه فيما سيأتي إن شاء الله .

بوادر الأزمة مع الفكر الاعتزالي :

كما هو معلوم لدى الخاص والعموم، أن كل تراكم أو تراكمات في موضوع معين من المعرفة يبني لنا فكرة وقضية جديدة، نعبر عنها بأن نتجاوز ما سبقها من أفكار ومواقف.

وإذا كان صحيحا أو معقولا ما نقول : فالأمر كذلك إذ قلنا أن بزيادة تراكم الأفكار الخاطئة والمغلوطة تولد الأزمة الفكرية، وهذه الأزمة الفكرية هي التي وصل إليها أبو الحسن الأشعري مع الفكر الاعتزالي وستخيم وتمتد بظلالها حتى بعد أن يرجع من الاعتزال لهذا رأينا على ما تقدم أن نورد جميع الروايات ذات الموضوع الواحد التي تعكس الصورة الحقيقية وتبين مدى تأثير هذه الأزمة، وكيف أنها ستؤدي إلى هذا التحول العجيب على مستوى أفكار ومواقف أبي الحسن الأشعري.

وذلك من خلال ما وصلنا من الكتب القديمة والكتب المحققة، بغرض إجراء مقارنة للتمييز بين السقيم منها والصحيح، مع إبداء ملاحظات على كل مجموعة من الروايات ذات الموضوع الواحد، في الأخير إلى السبب الحقيقي الذي غير مجرى حياة أبي الحسن الأشعري.

وسأقسم هذه الروايات باعتبار طبيعة الموضوع إلى ثلاث روايات رئيسية هي كالأتي :

1- **الروايات الإعلانية** : بغاية إعلان وإشهار لموقف أخر تدور أحداثها من على المنبر

2- **الروايات المنامية** : كموجه رئيسي في هذه الأزمة.

3- **الروايات على شكل مناظرات** ومطارحات علمية جرت بينه وبين شيخه أبي علي الجبائي.

أ- الرويات الإعلانية :

1- أقدمها ما ورد في "الفهرست"[41] لابن النديم وهي بنفس عبارة ابن خلكان ([42]) قال : **(وكان الأشعري أولا معتزليا، ثم تاب من القول بالعدل، و خلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة في يوم الجمعة، رقى كرسيا ونادى بأعلى صوته، من عرفني عرفني، ومن لم يعرفني فانا اعرفه بنفسي : أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لايرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع).**

41- الفهرست ابن النديم ص 281/طبع مصر
42- وفيات الاعيان ج 3/ص 285

2- رواية أبي بكر إسماعيل بن أبي محمد بن اسحاق الازدي القيرواني المعروف بابن عزرة عندما سأله أبو القاسم الطرابلسي عن أبي الحسن الأشعري فقال : الأشعري شيخنا وإمامنا ومن عليه معولنا قام على مذاهب المعتزلة أربعين سنة وكان إماما ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوما وبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال: معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما أوردته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس فمنها كتاب "**اللمع**" وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سماه كتاب -**كشف الأسرار وهتك الأستار**- وغيرها.[43]

3- رواية أبي عبد الله الحمراني يقول : لم نشعر يوم الجمعة وإذا بالأشعري قد طلع على منبر الجامع بالبصرة بعد صلاة الجمعة ومعه شريط شده في وسطه ثم قطعه وقال :

43- تبيين المفتري ص 39

اشهدوا علي أني كنت على غير دين الإسلام، وأني قد أسلمت الساعة، وإني تائب مما كنت فيه من القول بالاعتزال ثم نزل.[44]

وهذه الروايات نجدها بعد تدقيق النظر فيها أنها قريبة المعنى وإنما هي اختلاف العبارات الدالة على هذا الحدث المحوري. ومن هنا يمكن القول بأن الأشعري لما غاب خمسة عشر يوما في بيته معتكفا، خرج بعدها على الناس معلنا رسالته في تأسيس فرقة لا تبديل قناعة، بقوله - " **معشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما أوردته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت اعتقده**"- ودفع كتبه إلى الناس منها كتاب "**اللمع**" ثم قال الأشعري عند خروجه من الاعتزال أسفا على ما مضى : (**كنت على غير ملة الإسلام، وإني أسلمت الساعة...**)

لكن الذي يجعلنا لا نأخذ بهذه الروايات لتبرر تحول الأشعري وجود بعض المآخذ تقدح في صحتها، ينبغي التنبيه إليها خاصة في الرواية الأولى والثانية.

44- نفس المصدر ص 40

• **الأولى** : يلاحظ من خلالها أنه يستحيل كتابة تلك المؤلفات التي دفعها إلى الناس في تلك المدة الوجيزة التي لا تتعدى أسبوعين، وأيضا لا يعقل أن يولفها وهو باق على مذهب الاعتزال. إلا إذا قلنا أن الأشعري كانت له نية مسبقة منذ مدة طويلة للخروج، و بقي يتكتم هذا الأمر حتى يستيقن ويتهيأ له الجو الملائم لمغادرة المعتزلة، وأثناء ذلك أنشأ يؤلف الكتب ويسجل الملاحظات، ويجري المناظرات ويتدرج رويدا حتى أتت الفرصة المواتية، فأعلن براءته من الاعتزال نهائيا من على فوق المنبر يوم الجمعة.

هذا إن أردنا أن نجد للأمر مخرجا، وإلا فهو لا يعدو تمثيلا مسرحيا وزع أدواره مجموعة من المؤرخين، ولا ينهض حجة في تغير موقف الأشعري من المعتزلة.

أما الرواية الثالثة فهي بدون شك تتناقض مع ما ذهب إليه من انفتاح في **كتابه "مقالات الإسلاميين"** عند الحديث عن الفرق والمذاهب الإسلامية : "إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم" كذلك يتناقض ذلك الموقف التفكيري مع ما رواه شمس الدين الذهبي من تسامح الأشعري بقوله : -كلمة أعجبتني وهي ثابتة، رواها البيهقي لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد، دعاني فأتيته، فقال :

"اشهد علي أني لا اكفر أحدا من أهل القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا اختلاف العبارات"

ب- الروايات المنامية :

جلها رواها ابن عساكر في كتابه "تبين كذب المفتري" ومنها:

1- رواية احمد بن الحسين المتكلم قال : سمعت بعض أصحابنا يقول : أن الشيخ أبا الحسن رحمه الله لما تبحر في كلام الاعتزال وبلغ الغاية كان يورد الأسئلة على أستاذيه في الدرس ولا يجد جوابا شافيا، فتحير في ذلك فحكى عنه انه قال : **"وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما فيه من العقائد فقمت وصليت ركعتين وسألت الله تعالى أن يهديني الطريق المستقيم ونمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليك بسنتي فانتبهت وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار فأثبته ونبذت ما سواه ورائي ظهريا "(45)**

45- تبيين كذب المفتري ص 38-39

2- حكاية الإمام أبي عبد الله الحسين بن محمد عن شيوخه أن علي بن إسماعيل الأشعري قال : "بينما أنا نائم في العشر الأول من شهر رمضان رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال : يا علي انظر المذاهب المروية عني فإنها الحق فلما استيقظت دخل علي أمر عظيم. ولم أزل مفكرا مهموما لرؤياي ولما أنا عليه من إيضاح الأدلة في خلاف ذلك حتى كان العشر الأواسط فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي ما فعلت فيما أمرتك به فقلت يا رسول الله ما عسى أن افعل وقد خرجت من المذاهب المروية عنك وجوها يحتملها الكلام واتبعت الأدلة الصحيحة التي يجوز إطلاقها على الباري عز وجل فقال لي : انصر المذاهب المروية عني فإنها الحق فاستيقظت وأنا شديد الأسف والحزن فأجمعت على ترك الكلام واتبعت الحديث وتلاوة القرآن فلما كانت ليلة سبع وعشرين وفي عادتنا بالبصرة أن يجتمع القراء وأهل العلم والفضل فيختمون القرآن في تلك الليلة مكثت فيهم على ما جرت عادتنا، فأخذني من النعاس ما لم أتمالك معه أن قمت، فلما وصلت إلى البيت نمت وبي من الأسف على ما فاتني من حلم تلك الليلة أمر عظيم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي : أنا

أمرتك بترك الكلام إنما أمرتك بنصرة المذاهب المروية عني فإنها الحق، فقلت : يا رسول الله كيف ادع مذهبا نصرت مسائله وعرفت أدلته منذ ثلاثين سنة لرؤيا، فقال: لي لولا أني أعلم أن الله تعالى يمدك من عنده لما قمت عنك حتى أبين لك وجوهها، وكأنك تعد إتياني إليك هذا رؤيا أو رؤياي جبريل أنك لا تراني في هذا المعنى بعدها فجد فيه فإن الله سيمدك بمدد من عنده، قال : فاستيقظت وقلت : ما بعد الحق إلا الضلال وأخذت في نصرة الأحاديث في الرؤية والشفاعة والنظر وغير ذلك فكان يأتيني شىء والله ما سمعته في خصم قط ولا رايته في كتاب فعلمت أن ذلك من مدد الله تعالى الذي بشرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

ج- مناظراته مع شيخه أبي علي الجبائي :

1- **المناظرة في الأصلح والتعليل.**

وأشهر هذه المناظرات تلك التي وقعت بينهما في الأصلح والتعديل، وسنقتصر على إحدى رواياتها كما ذكرها السبكي ([46]) " سأل الأشعري أبا علي الجبائي فقال : "أيها الشيخ ما قولك في ثلاثة : مؤمن وكافر وصبي، فقال (الجبائي) : المؤمن من أهل الدرجات، والكافر من أهل الهلكات، والصبي من أهل النجاة فقال الشيخ (الأشعري) : فإن أراد الصبي أن يرقى إلى أهل الدرجات هل يمكن؟. قال الجبائي : لا يقال له : إنما المؤمن نال هذه الدرجة بالطاعة، وليس لك مثلها. قال الأشعري : فإن قال التقصير ليس مني فلو أحييتني كنت عملت من الطاعات كعمل المؤمن قال الجبائي : يقول له الله : كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت ولعوقبت، فراعيت مصلحتك وأمتك قبل أن تنتهي إلى سن التكليف".

48- طبقات الشافعية ج 2/ص 250-251

قال الشيخ الأشعري : فلو قال الكافر : يا رب علمت حاله كما علمت حالي، فهلا راعيت مصلحتي مثله ؟ فانقطع الجبائي".

ويعلق بن خلكان عليها فيقول : "**وهذه المناظرة دالة على أن الله تعالى خص من شاء برحمته وخص من شاء بعذابه، وأن أفعاله غير معللة بشيء من الأغراض.**

ويعلق بن السبكي بنفس المعنى فيقول : هذه مسالة مفروغ منها ؟ فمن أصلنا أنه تعالى لا يجب عليه شيء، ولا يفعل شيئا لشيء يبعثه عليه، بل هو مالك الملك ورب العالمين لا حجر عليه لو نقل عباده من الخير إلى الشر، ومن النفع إلى الضر، لا يسأل عما يفعل وهم يسالون. ([47])

2- **مناظرة في أسماء الله هل هي توقيفية أم إصطلاحية:**

والمناظرة الثانية رواها السبكي ([48]) كما يلي : دخل رجل على الجبائي فقال : فهل يجوز أن يسمى الله تعالى عاقلا ؟ فقال الجبائي : لا لأن العقل مشتق من العقال، وهو المانع والمنع في حق الله تعالى محال، فامتنع الإطلاق.

[47]- طبقات الشافعية ج 2 ص 251
[48]- نفس المصدر ج 2 ص 251.

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري، فقلت له : فعلى قياسك لا يسمى الله –سبحانه– حكيما، لان هذا الاسم مشتق من حكمة اللجام، وهي الحديدة المانعة للدابة من الخروج ويشهد لذلك قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

فنحكم بالقوافي من هجانا * ونضرب حين تختلط الدماء**[49]

وقول الاخر :

بني حنيفة حكموا سفهاءكم * عني أخاف عليكم أن أغضبا**

أي " نمنع بالقوافي من هجانا" و"امنعوا سفهاءكم" فان كان اللفظ مشتقا من المنع والمنع على الله محال، لزمك أن تمنع إطلاق "حكيم" عليه سبحانه وتعالى. قال : فلم يجد جوابا، إلا أنه قال لي : فلم منعت أنت أن يسمى الله سبحانه عاقلا واجزت أن يسمى حكيما ؟ قال أي الاشعري فقلت له: لأن طريقي في مأخذ أسماء الله الإذن الشرعي، دون القياس اللغوي .فأطلقت حكيما لأن الشرع أطلق، ومنعت عاقلا لأن الشرع منعه، ولو أطلقه الشرع لأطلقته.

وما يمكن أن نلاحظه على هاتين الروايتين اللتين وردتا في شأن المناظرة مع شيخه، أن الرواية الأولى :

49-راجع ديوان حسان بن ثابت بشرح عبد الرحمان البرقوقي ؟، القاهرة المحكمة التجارية ص 6.

أقرب مما تقدم من الرويات إلى الصحة ومعقولة المعنى لأنها تتناسب وما كان عليه المعتزلة من جموح عقلي بما هو معروف في مسألة التحسين والتقبيح العقليين التي اتخذوها كمعيار في الحكم على الأفعال، ومن ثم أوجبوا على الله فعل الأصلح. فبين الاشعري من خلال هذه المناظرة التي أبطل فيها دعواهم أن الله –سبحانه– لا يجب عليه شيء بل هو تعالى يريد ويختار ما كان لهم الخيرة، ولا يحيط بعلمه أحد وهذا لا يتنافى في ذات الوقت مع عدله وحكمته التي وضعها بين خلقه، وأفعال الله منزهة عن العبث والفوضى، ومحال أن نجد غير هذا قال الإمام الحسن البصري رحمه الله : " يحاسب الله سبحانه المؤمنين يوم القيامة بالمنة والفضل ويعذب الكافرين بالحجة والعدل[50] فلا يرتاب ذو عقل ولب أن عقل الإنسان مهما بلغ، معلوماته محدودة لا يمكن أن يرتفع بها إلى حد يحصل معه اليقين والثقة بما عنده وبالأحرى أن يفتح بها نافذة يطل على الغيب أو يتكهن بما ليس في وسعه إدراكه. فالعقل مذ خلق الله السموات والأرض لم يزل طفلا صغيرا يتلقى عن الوحي ويأخذ

50- الحسن البصري ص 42.

دروسه الأولى من نواميس الكون، وإن حاد عن هذا النهج ضل وغوى فأصبح مضطربا حائرا كأنما يتخبطه الشيطان من المس ووقع تناقض فظيع يأباه له الشرع ولا يرضاه أي عقل.

أسباب القطيعة مع الفكر الاعتزالي :

إن الفترة التي قضاها الأشعري في أكناف المعتزلة رغم ما شابها من الشوائب أثرت فيه فيما بعد تأثيرا بليغا لا يمكن بحال من الأحوال أن ننكره أو نمر عليه مرور الكرام لا من ناحية الأساليب التي اكتسبها في الرد على الخصوم أو في المنهج الذي استقاه من الفكر الاعتزالي لينفذ منها إليهم وإلى مكامن الضعف لديهم، كما ولا يخفى علينا أنه كان إماما للاعتزال ورأسا من رؤوسهم.

فما هي الأسباب الحقيقية التي دعت الاشعري إلى الاعتزال، وهو في عنفوان عطائه وحدة نشاطه ويغادر هذه المدرسة بعدما قضى فيها أربعين عاما ؟ ألا يدعو هذا الأمر إلى العجب والإصرار بقوة على معرفة المسائل التي فارق عليها المعتزلة وانخلع من ثوب الاعتزال.

يمكن تلخيص هذه الأسباب في أربع أسباب أساسية كانت وراء خروجه وهي كالتالي :

- تقديم العقل على النقل
- تأويل المعتزلة لنصوص الكتاب و السنة
- استغلال السلطة الحاكمة لترويج باطلها .
- إنكار المعتزلة لخبر الواحد

خلاف الحنابلة مع الاشعري :

كان الحنابلة -أتباع الإمام أحمد رضي الله عنه، قامع البدعة وناصر السنة- قد رفعوا رؤوسهم عاليا بعدما أستتب لهم الأمر في عهد الخليفة العباسي المتوكل، فبيض الله بهم وجوه أهل السنة وسود بهم رايات أهل البدع، والفضل يرجع في ذلك كله -بعد معونة من الله- إلى وقفة الإمام أحمد رضي الله عنه القوية، أمام أفكار المعتزلة الهدامة خاصة في مسألة خلق القرآن، وأعطى النموذج الأمثل في الدفاع عن الحق، من غير أن تلين له قناة أو يحرف الكلام عن مواضعه هذا إذا علمنا ما كان يتوسل به المعتزلة من الاستغلال البشع للسلطة الحاكمة في فرض أرائهم بقوة الإكراه، والترويج لها بشكل رسمي وعلني بمباركة من بعض الخلفاء العباسيين، خاصة في عهد

المعتصم والواثق والمأمون حتى جاء المتوكل ففك الأسر وحل قيود أهل السنة بعدما كانوا مقموعين منبوذين، لا تسمع لهم كلمة، واستدعى الإمام أحمد وأكرم مثواه، ثم كتب إلى الأفاق بالمنع من الكلام في مسائل الكلام إلى إن يموت، وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير.. وارتقعت السنة في أيام المتوكل عفا الله عنه، وكان لا يولي أحدا إلا بعد مشورة الإمام احمد.([51])

فخرج الحنابلة من هذه المحنة والبلية، وأكسبهم الانتساب إلى الإمام المبجل أحمد –رحمه الله- إمام أهل السنة والجماعة قوة إلى قوتهم، وأشفى بهم صدور قلوب المؤمنين فكانوا يدا واحدة على من عاداهم من الدجالين والمبتدعين، وباتوا رمزا لأهل السنة في الدفاع عن عقائد السلف والذود عنها.

51البداية و النهاية لابن كثير ج 316/10.

الفصل الثاني :

مفهوم العقيدة الأشعرية وأركانها

المبحث الأول: مفهوم العقيدة الأشعرية

عندما نقول "العقيدة الأشعرية" فإننا نعني بصفة مطلقة وجازمة العقيدة الإسلامية ،لكننا ننسبها مجازا إلى الأشعري ،اعتبارا لمنهجه الصحيح في تناول مسالك العقيدة الإسلامية،

* **العقيدة لغة** : كما جاء في لسان العرب لابن منظور هي "الشد والربط والإحكام والملازمة"، يقال شد الحبل أي ربطه وأحكمه، ويقول الله تعالى "**لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان**"[52] وقوله عز وجل"**يأيها الذين أمنوا أوفوا بالعقود**"[53] وقوله صلى الله عليه وسلم "**الخيل معقود على نواصيها الخير إلى يوم القيامة**" أي ملازم لها.

* **العقيدة اصطلاحا** : يمكن تعريف العقيدة كمصطلح مجرد هي : " **فكرة سماوية ناقشها الإنسان مناقشة ظرفية حتى استقرت بالقلب بحيث لا تعود للطفو**

52 سورة المائدة الآية 91 نلسان العرب لابن منظور مادة عقد

53سورة المائدة الآية 1 ،انظر محاضرات الشيخ محمد الأمين الإسماعيلي لطلبة العقائد برسم الموسم الدراسي2005/2004

مرة أخرى ولو عادت للطفوي لما سميت عقيدة"، كما أننا لانجد مصطلح عقيدة في القرآن الكريم بل نجد مرادفا لها وهو الإيمان، ففي سورة يوسف يقول الحق جل جلاله **" وما أنت بمومن لنا ولو كنا صادقين "[54]** ومنه فالعقيدة الإسلامية هي الإيمان والتصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره كما جاء في حديث جبريل عليه السلام. ويعرف الإمام الشافعي الإيمان بالتصديق وهو يزيد، وينقص، ويرفع، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويرفع بالكبائر، كالشرك والسحر والتطير...

تعريف العقيدة الإسلامية شرعا:

"هي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده. والإيمان المقصود هنا هو الإيمان بالله تعالى وما يجب له من التوحيد والطاعة وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وسائر ما ثبت من أمور الغيب والأخبار والقطعيات علمية أو عملية[55] ويتضح من تعريف العقيدة لغة وشرعا أنها تدور حول الشيء الصلب والشديد، الذي لا ليونة فيه ولا ميوعة، بل هو شيء ثابت راسخ رسوخ

54- سورة يوسف الآية17، صحيح البخاري ومسلم باب الإيمان.
55 - العقيدة الصافية للفرقة الناجية سعيد السيد عبد الغني.

الجبال، قال تعالى"**إنما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا**"[56]. لأن عقيدتهم جازمة لا ريب فيها.

فإن العقائد هي الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن إليه القلوب، وتكون يقينا عند أصحابها، لا يخالطها شك. ولا يهزمها ريب، ولا يثنيها حدث، ولا تذهبها الأعاصير فهي متمكنة من القلوب وراسخة فيها تتزلزل الجبال وهي راسخة، تقتلع الأوتاد من جذورها وتأبى العقائد إلا أن تثبت.

وعلى هذه العقائد الراسخة وهذا اليقين الثابت المطمئن، ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرعيل الأول رضوان الله عليهم أجمعين، فكانوا خير قرن وخير رجال عرفتهم البشرية، وبهذه العقيدة الإسلامية الثابتة العميقة المباركة انطلق هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم – ينشرونها في أرجاء المعمور ففتح الله لهم البلاد وأخضع لهم العباد، وجعلهم سببا في خروج الناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس. والجدير بالذكر أن كلمة العقيدة لم تذكر في القرآن الكريم ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

56 - سورة الحجرات.

وذلك رغم تواتر وتتابع علماء المسلمين قديما وحديثا علــى العنونة لمباحث هذا العلم بــ(العقيدة) أو العقائد.

لكن إذا تتبعنا القرآن الكريم نجد أن مادة كلمة (عقــد) موجودة في القرآن الكريم في مواضع عدة، ومن ذلك:

قال تعالى: **"لا يواخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكــن يواخذكم بما عقدتم الأيمان"**[57]

والمقصود بــ(**عقدتم الأيمان**) هنا أن يكــون بقــصد القلب وعزمه، وذلك بخلاف لغو اليمين التي تجــري علــى اللسان بدون قصد.

وفسرها الإمام الحافظ ابن كثيــر قــائلا : "أي بمــا صممتم عليه منها وقصدتموها"[58]

قال تعالى : **"يا أيها الذين أمنوا أوفوا بالعقود"**[59]

والعقود هي أوثق العهود، والعهود ما كانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره فنلحظ من ذلك أن أصل كلمة (عقد) بمشتقاتها التي وردت في القرآن الكريم تدل علــى اللــزوم

57 - المائدة 89.
58 - تفسير ابن كثير/ المائدة.
59 - المائدة 1.

والتأكيد والإستيثاق، والإحكام، والرسوخ، وهذا هو المعنــى العام لكلمة (العقيدة).

أنواع العقيدة :

- العقيدة الصحيحة :

إن العقيدة الصحيحة السليمة القويمة هي تلك العقيــدة التي بعث الله بها الرسل، إلى الناس في أي مكــان وزمــان وهي التي ارتضاها الله تعالى لخلقه جميعا.

وهي عقيدة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ لأنها منزلة من عند العليم الخبير، ولو تعدد الرسل واختلف زمانهم ومكانهم إلا أن العقيدة واحدة لا تتغير ولا تتبدل ولا تتعدد. وذلك لأن منزلها ومرتضيها هو الواحد الأحد الذي لا يتغير ولا يتبدل جل جلاله.

وهذه العقيدة الصحيحة لا توجد اليوم إلا في الإسلام، لأنه الدين الذي تكفل الله تعالى بحفظه إلي يوم الدين.

فهذه العقيدة الصحيحة توجد في الإسلام في أصــليه، (الكتاب والسنة) ندية طرية صافية، مــشرقة تقنــع العقــل بالحجة والبرهان، وتملأ القلوب إيمانا ويقينا وحياة.

قال تعالى: "**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به،...**"[60]

إذا فالعقيدة الإسلامية هي العقيدة الصحيحة، التي تمد الإنسان بكل ما يحتاجه في حياته، وترد على كل تساؤلاته، وتشفي جميع ما في صدره. فهي للإنسان ضرورية ضرورة الماء والهواء. فالإنسان بدون هذه العقيدة لا قيمة له ولا وزن. فهو في حيرة وتخبط ولا يدري من أين وإلى أين يعلم وظيفته الحقيقية ولا مهمته الأساسية التي من أجلها خلق، ولا يعلم شيئا عن مصيره الحتمي الذي ينتظره.

فلا حياة ولا نجاح ولا فلاح في الدين والدنيا إلا بهذه العقيدة الصحيحة السليمة.

- العقيدة الفاسدة :

والعقيدة الفاسدة بمعنى مختصر هي كل عقيدة تخالف العقيدة الإسلامية –العقيدة الصحيحة– سواء أكانت عقيدة أهل الكتاب أو عقيدة الفرق والجماعات والمذاهب والأنظمة المتعددة والمختلفة.

---

[60] - الشورى 52.

أما بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية "أهل الكتاب" فلقد دخل عليها التحريف والتغير والتبديل، وقد تم ذلك على يد أبنائها. فانحرفوا عن الطريق المستقيم والمنهج القويم والعقيدة الصحيحة. وإن كانت عقيدتهم سليمة في الأصل لأنها من عند الله تعالى.

أما بالنسبة للمذاهب والتيارات والفرق والأنظمة المختلفة مثل (الشيوعية، والرأسمالية، الوطنية، القومية) فكل هذه المعتقدات التي هي عند أصحابها عقيدة يمشون عليها، ويحيون من أجلها ويجاهدون في سبيلها ويموتون من أجلها، ويضحون بالغالي والرخيص للذود عنها ونشرها–فهي باطلة فاسدة هابطة، وكذلك لأنها من نتاج وأفكار وأذهان البشر ومن وشج عقولهم، وحق لها أن تكون عقائد فاسدة لأنها تخالف خالقها وتحارب فطرتها وتتمرد على موجدها.

المبحث الثاني: أركان العقيدة الإسلامية

عرفها علماء الأمة الإسلامية ب : الإيمان

هي قول باللســـان، وتصديق بالجنـــــان، وعمل بالأركــــــان.

* **قول باللسان** : أن تقول بلسانك "أشهد أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله" ومن قالها دخل الإسلام فلا يجوز تكفيره، ويحرم إخراجه من الملة، ففي قصة علي رضي الله عنه لما قتل خصمه ظنا منه أنه قال "أشهد أن لا إلاه الا الله وأن محمد رسول الله" خوفا من السيف والموت، أغضب ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال له "أشققت صدره يا علي"، ومن هذه القصة وهذا الحديث نستنتج حكم تحريم قتل الكافر لو نطق بالشهادة خوفا، فما بالك بأهل الملة الناطقين بها صدقا وتصديقا، كما يمكن التعليق على هده القصة، فلو كان قالها خوفا لعرف قيمة هذه الشهادة التي أنجته من موت محقق، ولو كان قالها صدقا لربحنا مسلما، فكان اجتهاد علي خاطئا أمام حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويمكن أن نشد عضد موقفنا وحكمنا هذا بقوله عليه السلام "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلاه إلا الله" بمعنى بعد النطق بالشهادة فالله تعالى هو من يتولى

السرائر وليس البشر. ولنا في سيرة رسول الله الكثير من القصص والدروس والعبر تقوي هدا الحكم.

* **تصديق بالجنان:** أي اعتقاد وإيمان وتصديق بتلك الأركان التي لا يكتمل الإيمان إلى بها وهي " الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره.

أ- الركن الأول : الإيمان بالله : وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى واحد أحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، والإيمان بألوهيته وربوبيته.

إن الإيمان بالله تعالى هو الركن الأول مــن أركـــان الإيمان، بل هو الركن الركين والأساس، فهو العمدة ويبنـــي عليه باقي أركان الإيمان.

فهو بمثابة القاعدة الصلبة لأركان الإيمان.

الإيمان بالله تعالى : إثباته والاعتراف بوجوده.

والإيمان له : القبول له والطاعة له.

ومعنى الإيمان بالله –على هذا يـــدخل فيـــه الإيمـــان بوجدانيته في ذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثلـــه شـــيء واعتقاد حدوث ما دونه.

وأنه سبحانه خالق العباد والمحسن إليهم والقائم بأرزاقهم ولهذا يعلم سرهم وعلانيتهم والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم.

ولهذه العبادة خلق الله الثقلين وأمرهما بها. كما قال تعالى : " **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون...**"[61]

وحقيقة هذه العبادة هي إفراد الله سبحانه بجميع ما تعبد به من أنواع العبادات، على وجه الخضوع له والرغبة والرهبة مع كمال الحب له سبحانه وتعالى والذل لعظمته[62]. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على معنى الإيمان وطلبه كثيرة جدا يطول حصرها. ومن هذه الآيات والأحاديث ما يلي :

1- قال الله تعالى: "أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله..."[63]

قال الحافظ ابن كثير." فالمؤمنون يؤمنون بأن الله، واحد أحد فرد صمد، لا إله غيره ولا رب سواه[64].

---

[61] - الذريات 57.56.
[62] - رسالة العقيدة الصحيحة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.
[63] - البقرة الآية 285.

ب- الركن الثاني : الإيمان بالملائكة

تعريف الملائكة لغة :

الملك : واحد الملائكة، وهم جنس نوارني لطيف من خلق الله، كجبريل والجمع أملاك[65]. وقيل إن ملك مشتق من الألوكة، وهي الرسالة، قيل من لأك، إذ أرسل وقيل غير ذلك.

اصطلاحا :

هم نوع من مخلوقات الله عز وجل، خلقهم مجبولين على طاعته وعبادته، قائمين بوظائفهم، كما بين ذلك سبحانه وتعالى "لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يومرون"[66].

قال تعالى: "وله من في السماوات والأرض ومن عنده ولا يستكبرون عنه عبادته، ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون"[67].

قوله تعالى: "**بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**"[68]

---

[64] - تفسير ابن كثير، آخر سورة البقرة
[65] - انظر المعجم الوجيز : مادة ملك.
[66] - التحريم: 6.
[67] - الأنبياء 19-20.
[68] - الأنبياء 26-27.

ج- الركن الثالث : الإيمان بالكتب

لغة : جمع كتاب، وهي صحف ضم بعضها إلى بعض[69].

والكتاب : مصدر سمي به المكتوب فيه، وهو في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها.

شرعا : هي كلام الله تعالى، أوحى به إلى رسله عليهم الصلاة والسلام عن طريق جبريل عليه السلام، وذلك ليبلغوه للناس ليكون حجة لله على خلقه.

1- الكتب السماوية:

إن هذه الكتب منها ما ذكرها الله لنا في القرآن الكريم ومنها ما لم يذكرها، والكتب التي ذكرها الله في القرآن هي بترتيبها التاريخي: (صحف إبراهيم، التوراة، الزبور، الإنجيل، القرآن)

- **صحف إبراهيم :** المنزلة على سيدنا ابراهيم عليه السلام.
- **التوراة:** المنزلة على نبي الله موسى عليه السلام.
- **الزبور:** المنزلة على نبي الله داود عليه السلام.

69 - لسان العرب. مادة كتب

- **الإنجيل:** المنزلة على عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام.
- **القرآن الكريم:** المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وأعظم هذه الكتب هو القرآن الكريم، وهو المهيمن عليها، والمصدق لجميعها (في عمومها) والناسخ لجميع شرائعها وأحكامها.

قال الله تعالى : "**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه**"[70].

2- حفظ الله تعالى للقرآن الكريم :

لقد أنزل الله تعالى هذا القرآن الكريم، ويعلم أنه آخر كتاب سيتنزل على البشر وسيكون لخير أمة أخرجت للناس فأراد الله له الخلود والحفظ، فتولى سبحانه وتعالى حفظ هذا الكتاب الكريم، فلا تمتد إليه الأيدي ولا ينال منه المبطلون، فهو حبل الله المتين وذكره الحكيم وصراطه المستقيم والحجة على خلقه إلى يوم الدين.

قال تعالى: "**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**".

70 - المائدة 48.

3- الركن الرابع : الإيمان بالرسل

***- معنى الرسول لغة:** الرسول المرسل ويجمع على رسل، وأرسل والإرسال هو التوجيه.

الرسالة : كتاب يشتمل على قليل من المسائل تكون في موضوع واحد.

رسالة الرسول: ما أمر بتبليغه عن الله، ودعوة الناس إلى ما أوحي إليه[71].

***- معنى الرسول شرعا:**

الرسول: هو إنسان حر ذكر نبأه الله تعالى بشرع وأمر بتبليغه إلى من لا يعلمه أو خالفه مما أرسل إليهم[72].

ولابد أن يتوفر في الرسول النبوة، إذ هي شرط في الرسالة، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

وأيضا فالرسول يحمل رسالة إلى من لا يعلم دين الله وشرعه أو غير الشرائع والأديان لتعليمهم وإعادتهم إليها وهو الحاكم فيهم.

71 - انظر المعجم الوسيط. مادة أرسل

72 - والنبي هو إنسان حر ذكر نبأه الله تعالى.

"أما النبي فهو الذي يبعث بالدعوة إلى شرع من قبله". ولذلك فقد جمع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بين النبوة والرسالة.

***- النبوة توهب ولا تكسب :**

إن النبوة شيء عظيم يمن الله بها على من يشاء من عباده ويصطفي فهي منحة وهبة يهبها الله تعالى لمن اختاره من عباده الصالحين. فهو سبحانه وتعالى يعلم بعلمه الأزلي أن هؤلاء مؤهلون لحمل رسالة ربهم وتبليغها للناس. فجعلهم أمناء على هذه الرسالات التي فيها حياة القلوب وصلاح الشعوب قال تعالى: **"الله أعلم حيث يجعل رسالاته"**[73].

وليست الرسالة شيئا يكتسب فليس هناك أذكار وأوراد أو بعض الأفعال التي يقوم بها العبد ويواظب عليها فيصل بذلك إلى مرتبة النبوة، ثم يوحى إليه ما سمعنا بذلك في الأولين ولا في الآخرين.

ولذلك نرى الله عز وجل يقرر هذه الحقيقة في القرآن الكريم ويؤكد عليها في حق جميع الأنبياء والمرسلين فمثلا

73 - الأنعام 164.

في حق موسى عليه السلام الله يمن عليه ويذكر هذه النعمة قال تعالى: "**إني اصطفيتك برسالتي وبكلامي**"[74].

ويحكي لنا القرآن الكريم قول يعقوب لابنه الصديق يوسف عليهما السلام مذكرا إياه بنعمة ربه عليه بأن الله كما أراه هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة له قال تعالى: "**وكذلك يجتبيك ربك**"[75] أي يختارك ويصطفيك لنبوته[76].

ولقد ذكر الله في مواضع أخرى نعمته على النبيين، وأنها هبة من الله تعالى لهم قال تعالى: "**أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا**"[77].

وعلى ذلك فلا يحق لأحد أن يعترض على حكم الله، وعلى اختصاص الله بعضهم برسالاته دون بعض فهو أعلم بهم ولا يسأل عما يفعل، وعباده وخلقه من دونه يسألون قال تعالى: "**وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين**

74 - الأعراف 144.
75 - يوسف
76 - انظر تفسير ابن كثير أول سورة يوسف.
77 - مريم 58.

عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا"[78].

4- الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان وعمود من أعمدته ، فلا يتم إيمان العبد ولا تصح عقيدته إلا بعد أن يحقق هذا الركن وهو الاعتقاد الجازم الذي لا يدخله شك ولا ريب –بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه العزيز أو ما جاء على لسان نبينا محمد صلى الله عليه عليه وسلم عن ذلك اليوم وما حدث فيه بما في ذلك الساعة وعلاماتها، والقبر ونعيمه وعذابه، والصراط ومحنته، والصحف وتطايرها والميزان وانتصابه، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها.

أولا: أدلة الإيمان باليوم الآخر

إن الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر كثيرة جدا يأمر فيها الله عباده أن يؤمنوا بهذا اليوم وبأنه الحق قال تعالى: "**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب**

78 - الزخرف 31-32.

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين..."[79].

وتارة أخرى يأمر الله سبحانه وتعالى بالإيمان بهذا اليوم ويعدنا عليه الأمن والبراءة من الحزن قال تعالى: **"من آمن بالله واليوم الآخر وعمل عملا صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون..."**[80].

وأيضا جاء الأمر بالإيمان باليوم الآخر في السنة المطهرة في أكثر من موضع بل عده النبي صلى الله عليه وسلم ركنا من أركان الإيمان وذلك في حديث جبريل عليه السلام الذي يسأل فيه جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فيجيب **"الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"**[81].

ويؤكد من هذه النصوص وغيرها على وجوب الإيمان باليوم الآخر، وأنه ركن من أركان الإيمان وأن من أنكره أو جحده، أوشك فيه وفي وقوعه فهو كافر بالملة،

79 - البقرة 188.
80 - البقرة 62.
81 - رواه مسلم من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في كتاب الإيمان باب تعريف الإسلام

مرتد عن دين الله تعالى وذلك كما حكى القرآن الكريم عن من أنكر البعث ووصفهم بالكفر قال تعالى: **"زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير"**[82].

5-الركن السادس : الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره

معنى القدر لغة : المقدار مقدار الشيء وحالته المقدرة.

شرعا : هو تحديد مقادير الأشياء قبل وقوعها وكتابتها في اللوح المحفوظ. قال تعالى: **"وقدر فيها أقواتها"**[83].

وجوب الإيمان بالقدر:

يجب الإيمان بقضاء الله وقدره وهو الركن السادس من أركان الإيمان فلا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بقضاء الله وقدره. وذلك لإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم. حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال: **"أن تؤمن بالله**

82 - التغابن 8.
83 - فصلت 10. لسان العرب لابن منظور مادة قدر

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"[84].

ومعنى الإيمان بالقدر: التصديق الجازم بأن كل ما يقع من الخير والشر فهذا بقضاء الله وقدره. وأن جميع ما يجري في الآفاق وفي الأنفس من خير أو شر فهو مقدر من الله تعالى. ومكتوب قبل خلق الخليقة، وكل شيء بإرادة الله تعالى أن يعبده كل خلقه ما عصاه أحد، بيده كل شيء يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، قال تعالى: **"ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم إن الله لا يحب كل مختار فخور"**[85].

ومن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر ما يلي : عن طاووس رحمه الله أنه قال : أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر، قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال

---

84 - رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.
85 - الحديد 22-23.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز"**[86].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تسأل المرأة طلاق أختها لتفرغ صحفتها ولتنكح فإن لها ما قدر لها"**[87].

لقد اختلف العلماء في مسألة الفرق بين القضاء والقدر، وتعريفهم للقضاء وللقدر، واختلفوا في تقديرهم للفرق بينهما.

ومنهم من قال : إن القدر تقدير الله في الأزل.

والقضاء : حكم الله بالشيء عند وقوعه. فإذا قدر الله تعالى أن يكون الشيء فإنه يكون قضاء وهذا كثير جدا في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: **"قضي الأمر"** وقال: **"والله يقضي بالحق"**.

فالقدر: تقدير الله بالشيء في الأزل. أما **القضاء** قضاؤه به عند وقوعه.

---

86 - رواه مسلم كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.
87 - رواه البخاري كتاب القدر باب: وكان أمر الله قدرا مقدورا.

وهذا باب برزت فيه العقيدة الأشعرية وتميزت وتفوت، كما أنه باب حارت فيه العقول، وزلت فيه الأقلام، وتاهت فيه الأقدام، وتخاصمت فيه الفرق والمذاهب، وكفر بعضها بعضا، وسالت دماء الأمة بسبب تناول فرقها العقدية لهذا الباب، فهذه فرقة الخوارج تذبح أهل القبلة، وهذه فرقة المعتزلة تنفي القدرة على الله وتنسبها إلى العبد، وفرقة أخرى تنفيها على العبد وتنسبها إلى الله، وهكذا كان الصراع مرير وداميا، حتى وفق الله أبا الحسن الأشعري، الذي تربى في المنهج الاعتزال أربعين سنة، وشاهد أهل قبلته يذبحون ويقتتلون باجتهاداتهم القاصرة عن معرفة التناول العلمي والمنطقي لنصوص القرآن، وشهد محنة الأمام أحمد ابن حنبل كذلك.

وأبو الحسن الأشعري لم يكن رجلا عاديا، لقد كان ألمعيا، ذا نظر ثاقب، رأى أن المحدثين قصروا همتهم على النص، وطرحوا العقل جانبا، والمتكلمين قصروا همتهم على العقل وطرحوا النص جانبا، فكان الصراع ضاريا بين الطرفين، فساءل الأشعري نفسه، لماذا لا يكون المرء محدثا ومتكلما في نفس الوقت، وهو ليس جمع بين متناقضين، فالنص والعقل هبة من الله تعالى، ويستحيل في حقه عز

وجل التناقض، فوفقه الله تعالى إلى اختيار منهج وسط بين الفريقين، **"فنسب الأفعال إلى الله تعالى خلقا وإبداعا، وإلى العبد كسبا" ففك الله بمنهجه أسر هذه الأمة، وأزال عنها أغلالها الفكرية.**

فأسس أبو الحسن الأشعري بمنهجه نظام حياة متكامل وشمولي ، قاد الأمة إلى أعلى مراتب الحضارة والتفكير والإبداع لأزيد من ألف سنة،

6- ركن الإمامة العظمى

أن مسألة الإمامة العظمى حظيت بالإهتمام الكبير لدى علماء المسلمين.

أ/منزلة الإمامة عند أهل السنة والجماعة

بعد القول بوجوب نصب إمام ليقوم بتنفيذ أحكام الله وإقامة أمر المسلمين وفق أحكام شريعة الله التي بها رسوله صلى الله عليه وسلم يرى أهل السنة أن الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار الأمة من أهل الحل والعقد وينصب الإمام بنصبهم كما أنها تصح بعهد من الإمام الميت إذا قصد

فيه حسن الاختيار للأمة عند موته، ولم يقصد بذلك، وأنه تجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل[88].

والإمامة إذن عند أهل السنة والجماعة واجبة على الأمة عن طريق السمع ويصح هذا النصب عندهم عن طريق البيعة والاختيار باجتهاد منهم وقد دل صاحب التحفة الاثنى عشرية على رأي أهل السنة بأن الفطرة والعقل يشهدان له حيث إن كل فرقة بحكم فطرتها هي التي تختار رئيسها من بينها ومعلوم أن كل ما يتعلق بوجود الرئيس العام من أمور المكلفين واجب عليهم تلزم عقلا أن يكون تنصيب الرئيس واجبا عليهم.

وقد ترتب على الرأي السنة أن الإمامة فرع من فروع الدين ومتعلقة بأفعال المكلفين وليست أصلا من أصول الاعتقاد[89].

وقالوا من شروط الإمام : العلم والعدالة والسياسة وأوجبوا به من العلم مقدار ما يميز به أهل الاجتهاد في الأحكام الشرعية وأوجبوا من عدالته أن يكون ممن يجوز

88 - كتاب الإمامة والرد على الرافضة للحافظ أبي نعيم الأصفهاني, الناشر مكتبة العلوم والحكم الطبعة الثانية.

89 - قضية التأويل بين الشيعة وأهل السنة عرض وتقويم تأليف دكتور عبد المنعم فؤاد محمود عثمان دار المنار الطبعة الأولى.

حكم الحاكم بشهادته وذلك بأن يكون عدلا في دينه مصلحا لماله وحاله غير مرتكب لكبيرة ولا مصر على صغيرة ولا تارك للمروءة في جل أسبابه[90].

ب/الأدلة التي تشهد على صواب اختيار أهل السنة والجماعة

لقد وردت آيات في الكتاب العزيز فيها الإشارة إلى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أحق من هذه الأمة بخلافة سيد الأولين والآخرين وتلك الآيات هي :

قوله تعالى : "**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم**" والدلالة أن أبا بكر رضي الله عنده فيمن أمر الله - جل وعلا عباده أن يسألوه أن يهديهم طريقهم وأن يسلك بهم سبلهم وهم الذين أنعم الله عليهم وذلك منهم الصديق في قوله "**ومن يطع الله والرسول مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**" وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر رضي الله عنه ممن طريقهم هو الصراط المستقيم بل يبقى

90 - الفرق بين الفرق تأليف عبد القار بن طاهر بن محمد البغدادي.

أي شك لدى العاقل في أنه أحق خلق الله من هذه الأمة بخلافة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وقال تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**"[91]. وهذه الآية الكريمة تأيد ما ذهب إليه السلف الصالح في اختيار أبو بكر الصديق خليفة لهم.

---

[91] - عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضوان الله عليهم تأليف الدكتور ناصر بن ناقص من الشيح II ط II 1990/415 هـ ص 332.

الفصل الثالث: إستراتيجية للتفكير من أجل العقيدة الأشعرية.

المبحث الأول: أدوار العقيدة ومقاصدها، وخصائصها.

قبل التطرق للأدوار التي تطلع بها العقيدة، أعرض بعض المقاصد الجليلة للعقيدة الإسلامية.

أ* مقاصد العقيدة الإسلامية

– **أولا** : إخلاص النية والعبادة لله تعالى وحده لأنه الخالق لا شريك له فوجب أن يكون القصد والعبادة له وحده.

– **ثانيا** : تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة لأن من خلا قلبه منها فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة وعابد للمادية الحسية فقط، وإما متخبط في ضلالات العقائد والخرافات.

– **ثالثا** : الراحة الفكرية والنفسية فلا قلق ولا اضطراب في الفكر لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه فيرضى به ربا مدبرا مشرعا فيطمئن قلبه بقدره وينشرح صدره للإسلام, فلا يبتغي عنه بديلا.

- **رابعا** : سلامة النية والسريرة والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى أو معاملة المخلوقين لأن من أسسها الإيمان بالرسل المتضمن لا تباع طريقتهم ذات السلامة في القصد والعمل.

- **خامسا** : الحزم والجد في الأمور بحيث يفوت فرصة للعمل الصالح إلا استغلها فيه رجاء للثواب ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه خوفا من العقاب لأن من أسسها الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال.

ب* أدوار العقيدة

أما أدوار العقيدة فهي متعددة، ويمكن تناولها من زوايا مختلفة، والعقيدة توجد من أجل الجواب على كل التساؤلات، **الغيبية، والمادية، والتعبدية، والنفسية، وحتى الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والدفع بعجلة الإبداع الفكري والثقافي إلى الأمام.**

•ويمكن بسط هذه الأدوار كالآتي :

1 - **العقيدة موجب روحي للتساؤلات الغيبية** : فقضايا الغيب وما وراء الطبيعة، تطرح على العقل مجموعة من

الإشكالات يجد المرء أجوبة شافية ومقنعة انطلاقا من المعتقد الذي يعتقده ويدين به.

2- **والعقيدة محدد أساسي للعلاقات التفاعلية بين الإنسان والطبيعة** : فالإنسان في خضم تفاعلاته اليومية مع الآخر، ومع عناصر الطبيعة بكل مكوناتها ومستحدثاتها يتعرض لترسانة من المشاكل والأزمات النفسية والجسدية والعقلية والعائلية والوطنية والدولية، فتبقى العقيدة مزودا رئيسيا بالطاقة والقدرة على الاستخلاف في الأرض.

3- **كما أن للعقيدة دورا تعبديا** : فهي من تحدد للإنسان أوقاتا لطقوس العبادة يلجأ إليها كلما ضاقت به الدنيا وعجز عن تحمل مشاقها وأتعابها.

والعقيدة الصحيحة هي من تحدد علاقة العبد بربه وبمحيطه الاجتماعي والاقتصادي والمدني والسياسي.

4- **والعقيدة مسألة نفسية**، لهذا لا نستغرب أن جميع كتب علم النفس تحتوي على فصل للمعتقد، لأن المعتقد أمر واقعي، فإذا لم يجد الإنسان المعتقد فما عساه يفعل بانفعالاته وصراعاته مع الأخر الذي يجد في المعتقد تبريرا لها وتصديقا ومن تم تسليما لكل هذه الانفعالات والإشكالات.

5- للعقيدة كذلك دور اقتصادي : فمهما نظمت القوانين الوضعية المعاملات البشرية تبقى قواعد العقيدة موجها أساسيا في الحياة الاقتصادية فهذا النظام الليبرالي يتخبط في أزماته المالية وذاك النظام الاشتراكي البائد يبكي أمجاده، لأن الاثنين افتقدا بوصلة التوجيه العقدي في الاقتصاد.

6- كما أن للعقيدة دورا اجتماعيا : لا يمكن تصور مجتمع بدون عقيدة، فلكي يسمى المجتمع مجتمعا لا بد له من مكون أساسي وهو العقيدة، حتى وإن كانت هذه العقيدة أرضية النشأة، والتطور، كالبوذية والزرادشية والهندوكية، أو سماوية محرفة، كاليهودية والنصرانية، فلا تنتظم أحوال المجتمع الاجتماعية إلا بعقيدة تحدد علاقاته وروابطه.

7- والعقيدة مصدر الشرعية السياسية في كل بلد : فلا نتصور بلد يدين باليهودية يحكمه مسلم، أو بلدا مسلما يحكمه مسيحي، والعكس بالعكس، وهذا يدخل في باب الإمامة العظمى، التي جعل علماؤنا الأجلاء الإيمان بها ركنا من أركان العقيدة الإسلامية.

8- والعقيدة أيضا هي مصدر الإبداع الفكري والثقافي، إذ لا وجود لمجتمع إلا بالإبداع الفكري والثقافي ولا إبداع ولا فكر ولا ثقافة إلا بالعقيدة، فالعقيدة مؤسسة للهوية، وكل هوية

تعرف بعقيدتها، فالعقيدة محدد أساسي للهوية، فمكونات البلد متنوعة لكن العقيدة تبقى مكونا أساسيا لأي بلد. فمن مكونات الهوية المغربية نجد **"العقيدة الأشعرية"** وهي ثابت من **ثوابت الأمة الأربعة،** فيليها **الفقه المالكي ونهج الجنيد السالك وإمارة المؤمنين** وجميع العلوم الإسلامية واللاهوتية تناولت العقيدة في فصل من فصولها، و **"العقيدة الأشعرية"** نفسها لم تسلم من هذا التناول داخل العلوم الإسلامية بمختلف ميادينها.

ولا بأس من الحديث عن طبيعة المناخ العام لاعتناق أهل المغرب للعقيدة الأشعرية، وصيرورة تشكل هذا المذهب في التربة المغربية، ومكمن السر في تشبث المغاربة بهذا المذهب إلى يومنا هذا ثم الحديث عن نقط القوة في هذا المذهب الذي منحته القدرة على التكيف والاستمرارية بالغرب الإسلامي عامة وبالمغرب الأقصى خاصة.

أسئلة كثيرة يمكن أن تطرح في هذا الصدد، ومع أنني لا أزعم امتلاك أجوبة نهائية لها، فإنني سأحاول أن أثير مجموعة من القضايا علها تساعدنا في كشف النقاب عن مكمن هذا السر ومصدر هذه القوة. وكذا مراحل تطوره

فيها. وهو ما لم تستطع جل الأدبيات الفكرية المعاصرة التي اهتمت بهذا الموضوع أن تجيب عنه.

ومما لا شك فيه، أن تتبعـي لمختلف الأطوار التاريخية التي مر بها هذا الفكر في هذه المنطقة بالذات سيكشف لنا الآليات والميكانيزمات التي كانت تحركه، وأوجه تميزه واستقلاليته عن المدرسة الأشعرية في المشرق، مما يكشف طبيعة العلاقة الجدلية القائمة بين هذا الفكر وخصوصية الواقع المغربي المميز، وملابساته التاريخية والاجتماعية والسياسية التي عرفها. سيما وأن الفكر الأشعري المغربي قد عرف قفزة نوعية، سواء من حيث تطوره التاريخي، أو من حيث مضامينه وثوابته، أو منهجيته. ولا بأس أن نعرض لمجموعة من القضايا التي أثارها الدكتور إدريس خليفة في إحدى حواراته المرتبطة بما نحن بصدد دراسته وتحليله.

يقول الدكتور إدريس خليفة" إن تشبث المغاربة بالعقيدة الأشعرية أمر واضح من منهج الدراسة في جامعة القرويين وفي جامع القرويين، وفي كون المغاربة مجمعين على مبادئ هذه العقيدة حيث لا تجد مغربيا يقول بخلق القرآن... وأن المغاربة جميعا يثبتون لله جميع الصفات من

الوجود والقدم والبقاء والغنى المطلق والمخالفة للحوادث السمع والبصر والكلام وهم جميعا ينزهون الله تعالى عن مشابهة خلقه، وهم جميعا لا يكفرون مرتكب الكبيرة، وهم جميعا يترضون عن الصحابة، وهم جميعا يقولون إن تمام الإيمان بالعمل الصالح"[92]. بالإضافة إلى اتصال المغاربة المالكيين بنظائرهم الأشاعرة في المشرق وتبني الدولة الموحدية المذهب الأشعري واعتبار الاشعرية هي الفرقة الناجية، وفيما يلي بيانه.

- **اتصال المغاربة المالكيين بنظرائهم الأشاعرة في المشرق**

فقد كان مجموعة من كبار المفكرين بالأندلس والمغرب، وتونس يتجهون في بداية حياتهم العلمية إلى المشرق فيتلقون دراستهم الفقهية والعقدية على كبار الأشاعرة هناك، وعند عودتهم إلى بلدانهم يعودون مقتنعين أشد ما يكون الاقتناع بهذا المذهب وبضرورة نشره وتعميمه بين الناس.

- **تبني الدولة الموحدية المذهب الأشعري مذهبا رسميا لدولة**

إذ سعت الدولة الموحدية إلى محاربة الاتجاه السلفي العقدي، وترسيم المذهب الأشعري كمذهب رسمي للدولة.

---

[92] - د. إدريس خليفة: **حوار حي مع موقع الرابطة المحمدية للعلماء** الخروج عن المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية هو خروج عن إجماع الأمة!

- **الأشعرية والفرقة الناجية** : اعتقاد المغاربة بأن العقيدة الأشعرية، هي عقيدة الفرقة الناجية الواردة في حديث "افترقت بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين، فرقة ناجية، وثنتين وسبعين في النار" ([93])، وذلك لاعتبارات عديدة منها : أن العقيدة الأشعرية تتميز بالوسطية والشمولية، ومراعاة لذلك الأثر الوارد في حق المغرب "لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق" ([94])

أ : خصائص العقيدة الأشعرية بالمغرب

إن العقيدة الأشعرية تتميز بشموليتها ووسطيتها وتوفيقيتها. فهي أثبتت لله تعالى التوحيد في الذات والصفات والأفعال من غير تحريف ولا تعطيل ونزهته عن دلك علوا كبيرا.كما حررت العقل المسلم من بدعة التكفير والتعطيل والتجسيم ومن فكرة الخلق للقرآن. وقد أقر العلماء بالمجهود الكبير الذي قام به أبو الحسن الأشعري، في إعادة أسس العقيدة السنية السلفية إلى أصلها الصحيح، وقواعدها الإيمانية السليمة، ثم قرروا جميعا أن العقيدة الأشعرية، هي نفسها

[93] - أخرجه الدارمي وابن ماجة في سننهما. وذكر أهل الحديث أن أسانيد هذا الحديث تتراوح بين الصحة والحسن والضعف.

[94] - رواه بهذه الصيغة أبو نعيم في الحلية، وعلق عليه: "هذا حديث مشهور"، وذكره السيوطي في الدر المنثور.

عقيدة "أهل السنة والجماعة" واستمر الأمر على ذلك إلى يومنا هذا. أي أن الفكر الأشعري في الغرب الإسلامي عموما، وفي المغرب الأقصى خصوصا، هو طبق الأصل لصاحب المذهب وهو أبو الحسن الأشعري.. الأمر الذي يفيد من جهة أخرى أن أشعرية المغاربة لم تتأثر بالاتجاهات الأشعرية في المشرق، مثل الاتجاه الباقلاني والجويني والغزالي.. بل هي أشعرية اعتدالية سنية سلفية محافظة خلافا لما يلاحظ في بعض الأقطار.

ب- الوحدة العقدية والسياسية للمنطقة

منذ انفصال المغرب عن الخلافة العباسية سياسيا سنة (172هـ/ ق 8م)، ظلت سمة الوحدة السياسية - وقد تكلم كثيرون عن هذه الوحدة ([95]) التي طبعت الجو السياسي العام بالمغرب.. وقد اكتملت هذه الوحدة زمن الموحدين بعد الجهد الكبير الذي بذله الأدارسة والمرابطون قبلهم. هذه الوحدة السياسية منحت المنطقة وحدة مذهبية وعقائدية وسلوكية.. وبذلك تميزت المنطقة بطابع الوحدة والاتحاد والاستقلال ترابيا وسياسيا واجتماعيا بحكم طبائعها وتقاليدها وتراثها..

[95] - ابن خلدون في العبر. الإدريسي في نزهة المشتاق. ابن أبي زرع في روض القرطاس. الطبري في تاريخ الأمم والملوك. اليعقوبي في المسالك والممالك. المقري في نفح الطيب.ابن عذارى في البيان المغرب. المعجب في تلخيص أخبار المغرب. وغيرهم من الباحثين والمؤرخين وعلماء الاجتماع.

ت- الوحدة المذهبية للمنطقة

إن منطقة الغرب الإسلامي تتقاسم المسؤولية المشتركة مع الشرق الإسلامي للمحافظة على التراث الإسلامي والهوية الإسلامية.. إلا أنها وبحكم بعدها عن الشرق جغرافيا، فهي أقل تأثرا بمظاهر تلك التيارات الإلحادية والصراعات الأيديولوجية. أي أن منطقة الغرب كانت في مأمن أكبر من الفتن. لأن دخول المذهب المالكي إلى المغرب أثر بشكل قوي في دعم عقيدة أهل السنة. فقد كان للإمام مالك موقف كلامي عقدي ديني، خالف به أقوال المذاهب المنحرفة، وكان من الأسس التي بنى عليها الأشاعرة مذاهبهم.

ولذلك آزر المالكية المذهب الأشعري وانتموا إليه، فكان هو مذهبهم العقدي إلى جانب فقه مالك وتصوف الجنيد السالك، وهكذا ارتبط العقدي بالفقهي والصوفي في تفكير المغاربة.

ج- وحدة الفكر والسياسة

إن المغاربة المتكلمون وحدوا في تنظيراتهم بين السياسة الدينية والدنيوية وأعني بالسياسة الدينية هنا علم

الكلام، في حين اكتفى المتكلمون المشارقة بتسويغ أو تسفيه هذه السياسة أو تلك. وهذا لا يعني أن هؤلاء كان علم الكلام لديهم وسيلة لتحقيق مآربهم السياسية..

د- تيسير العقيدة الأشعرية لعلم الكلام لعامة الناس

لما كان علم الكلام الأشعري قد عرف بالمغرب طابع تعميمه على مجموع شرائح المجتمع، بما في ذلك عامة الناس وبادئ الرأي فيهم، فأضحى وكأن هناك مجالين معرفيّين : مجال تنتظم فيه الثقافة العقدية انتظاما يتلقاه المتعلمون داخل حقل تعليمي مضبوط ومنظم. والثاني يشكل الثقافة التلقائية، المتداولة في الكلام الشفوي. فبرزت ظاهرة خاصة بالثقافة الأشعرية في الغرب الإسلامي، وهي ظاهرة تنقية الثقافة الشفوية من رواسب العقائد الأخرى المعتزلية، والشيعية، والخارجية.. مما جعل هذه العقيدة تحافظ على استقلاليتها وتميزها.ومما يؤكد صحة هذا القول رواسب الثرات القديم في الأمثال المغربية، (كسب أعبدي وأنانعينك والقضى غلب الحضى) وغيرها كثير. كما نجد العقيدة الأشعرية حاضرة حتى في الثقافة الغنائية، وأمثل هنا بالسيد شقارة في أنشودته (أناعبد ربي له قدرة) وعبد الهادي بلخياط في (الناصرية) وغيرهما كثير.

هـ- عدم إلجام العوام عن علم الكلام

ثم إن هناك خاصية في الفكر المغربي تمثلت في إنزال علم الكلام إلى العامة، اضطرت -هذه الخاصية- المفكرين تباعا إلى تبسيط مضامينه واختصارها، حتى يسهل على الناس تناولها والاقتراب منها، وحتى لا يسبب أي شيء فيها داعيا لنفورهم منها وبعدهم عنها. لذلك لم تختلط مباحث هذا العلم بمباحث الفلسفة والمنطق كما فعل متأخرو الأشاعرة في المشرق. بل ظل عندهم مبحث العقائد مبحثا مبسطا.

و- جامع القرويين ودعمه للعقيدة الأشعرية

وقد كان لجامع القرويين فضل كبير في نشر العقيدة الأشعرية واستمرار وجودها بالمغرب، إذ كانت محل عناية شيوخه الذين كانوا يقومون على تدريسها ويؤلفون في شرحها وتحليلها إلى عهد قريب..

هكذا حافظ المغاربة على هذا الفكر السني السلفي التوفيقي المعتدل، دون مبالغة في الخوض العقدي، ودون تعمق في تأويل الصفات، ولكنهم في نفس الوقت لا ينكرون وظيفة العقل ولا يرفضون العقلنة السليمة والمعتدلة.

المبحث الثاني : كيف نفكر للعقيدة الأشعرية

لكي نعلم ما يجب علينا القيام به اتجاه العقيدة الأشعرية اليوم، يجب أن نحتكم إلى معايير العقائد، ومن تم الوقوف على مرتبة العقيدة الأشعرية في مراتب العقائد والأديان السماوية، وإليك المعايير :

1- معايير ترتيب العقائد :

أ- كم الإنتاج المتوفر لكل عقيدة في مجالات العلوم والفكر والإبداع، وقيمة هذا الإنتاج من الناحية الفكرية، هل يساهم في تطوير الحضارات وتقدمها؟ وهل يكون لها رصيدا على الصعيد الإنساني؟.

ب- شيوع الاعتناق لها : وتبنيها وتعهدها بالاعتقاد والعمل والممارسة.

ج- كفاءة كل عقيدة على الاجتهاد والتطور بحيث تستطيع أن تساير جميع التطورات الاجتماعية والاقتصادية أعني قدرة العقل الأشعري على إسقاط الأحكام الفقهية على النوازل الواقعية والمستجدة.

د- قدرة كل عقيدة على تحقيق الأمن الروحي والسلم العالمي. ومقصد الأمن الروحي والسلم العالمي هو من

المقاصد الجليلة التي كانت سببا في تأسيس العقيدة الأشعرية...

هـ - قوة كل عقيدة على أداء الدور التكويني في جميع مجالات الفكر والإبداع والثقافة.

وتبدو هذه المعايير مترابطة. لكن ينبغي أن نتجرد أثناء التساؤل من حبنا ووجداننا للعقيدة الأشعرية، خدمة لها. لنتمكن من قراءة الواقع الأشعري كما هو اليوم. فمن أجلها ينبغي العمل على تقوية هذه المعايير الخمس المذكورة.

2- تحليل معايير العقائد على ضوء العقيدة الأشعرية

أ- **فإذا تأملنا المعيار الأول** : فهناك عقيدة ندين بها اليوم تختلف عن عقيدة الماضي، فعقيدة اليوم أضيفت لها معتقدات بعضها حرف وبعضها جاء أثر الغزو الاستعماري والوهابي، والشيعي نسبيا، لكن عندما تفتح أمهات كتب "**العقيدة الأشعرية**" لا تجدها تحتوي على بعض الأحكام المتداولة اليوم "**كحكم تكفير أهل القبلة** "، لقد أصبحت المسافة كبيرة بين المعتقد و"**العقيدة الأشعرية**"، فكتب الأشعرية بالأمس، قدمت تحليلات وإجابات على كل القضايا التي واجهتها، فقادت بذلك الحضارات وأزهرتها، **فإذا**

تساءلنا ماذا يمكن أن تقدم العقيدة الأشعرية اليوم؟ يمكن أن نقول أن العقيدة الأشعرية بمنهجها الوسطي والمعتدل، بإمكانها اليوم إنقاذ الأمة الإسلامية من الغلو والتطرف من جهة، وبسماحتها يمكن إنقاذ العالم من الحروب الإرهابية والعدوانية.لكن لابد من الإنتاج العلمي والاجتهاد الفقهي لمسايرة الدينامية الاجتماعية السريعة،وفق منهج الوسطية والاعتدال، لا منهج التطرف والغلو. **كما أن إنتاج "العقيدة الأشعرية" العلمي والثقافي والفكري يقويها، ويجعلها في مرتبة جيدة بين المعتقدات، لكن إذا تساءلنا كم هو الإنتاج الأشعري اليوم في علم التفسير أو علم الحديث والفقه أو غيرها من العلوم الشرعية أو المقارنة؟ مقارنة مع إنتاج المعتقدات المرتبة ترتيبا أوليا، سنجده إنتاجا ضعيفا أمام هذه المتغيرات الكبيرة والسريعة طبعا.**

ب- **ونفس الشيء بالنسبة لمعتنقي العقيدة الأشعرية،** كم دخل إليها، فمن أجلها ينبغي أن ندعو إليها أصحاب العقائد الأخرى، أي ينبغي أن ننقل إلى الآخرين التفكير العقدي الأشعري لنرقى بعقيدتنا إلى كل ما هو كوني، وشبه غياب هذه الدعوة هو سبب في وجود التطرف، فاقتصار الآخر على معتقده، وعدم انفتاح عقله على وسطية واعتدال منهج

العقيدة الأشعرية يجعل تفكيره يتجه نحو التطرف، **فماذا تفعل مدارسنا وجامعاتنا ومعاهدنا وسفاراتنا ومراكزها الثقافية بالخارج إذا لم تؤد هذه الخدمة للعقيدة الأشعرية؟ أم أن للمجالس العلمية وحدها المسؤولية عن نشر هذه العقيدة** ؟ كما أن هذه المجالس تحتاج إلى التوسيع والتعدد، فلا تقتصر على مجلس علمي أوربي فقط، بل يجب الذهاب أكثر بهذه العملية –أي التوسيع– إلى مجلس علمي أمريكي وآخر تركي وآخر إيراني وآخر هندي وآخر صيني يعمل على نشر المعتقد الأشعري والفقه المالكي والتصوف السني.

ج – **أما دور كل عقيدة في الاجتهاد والاستيعاب والتطوير،** فإنه بإمكان علماء "**العقيدة الأشعرية**" الاجتهاد وفق ضوابط النص القرآني والمنهج الأشعري لمسايرة جميع التطورات الاجتماعية والاقتصادية والعمل على استيعاب عللها وأحكامها، أعني أن هناك قدرة للعقل الأشعري على إسقاط الأحكام الفقهية على نوازل الواقع.

د- المعيار الرابع : يحيلنا على قدرة العقيدة الأشعرية على تحقيق الأمن الروحي والسلم العالمي. ونؤكد بهذا الصدد أن مقصد الأمن الروحي والسلم العالمي هما من المقاصد

الكبرى التي كانت تتأسس عليها العقيدة الأشعرية، فكيف ننشر هذه المقاصد الكبرى في العالم كافة.

هـ- المعيار الخامس : كما أن للعقيدة الأشعرية دورا تكوينيا للعقل ليكـون عقلا مفكـرا ومنتجـا، وهذا التكوين لا يكون جديا وحقيقيا ومسعفا للعقل على أن يتطور ويطور، إلا إذا كان بالعقيدة الصحيحة.

خاتمة

وأخيرا ماذا سنفعل بها؟

كل المجتمعات الغربية والأسيوية والإفريقية والأمريكية في حاجة إلى عقيدة ربانية صحيحة وعادلة، عقيدة تدعو إلى السلم كافة .والتسامح، مصداقا لقوله تعالى "**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**"[96] وقوله عز من قال "**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا**"[97] وقوله تعالى "**فقل تعالى ندعوا أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**"[98]،
وقوله صلى الله عليه وسلم "**بلغوا عني ولو آية**"

فإذا قويناها بمعايير العقيدة المذكورة أصبحت قوة لنا في وجودنا وفي الدفاع عن خصوصياتنا، ومن ثم أدينا رسالتنا العالمية وهي التبليغ والدعوة إلى السلم كافة بهذا الدين الحنيف ليتحقق فينا قوله تعالى "يا أيها الناس إنا

96 ـ سورة النحل الاية 125
97 ـ سورة آل عمران الآية 63
98 ـ سورة آل عمران الآية 63

خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفها إن أكرمكم عند الله أتقاكم"[99]

وأختم بأنني لست ضد أي عقيدة سماوية، تدعو إلى التسامح والسلم والقيم الإنسانية المشتركة.

99 سورة الحجرات الآية 14

الفهرس